عيوب الكلام في تراث العرب

بقلم:
أ. د. محمد رفعت أحمد زنجير

بحث محكم نشر في مجلة التاريخ العربي، يصدرها اتحاد المؤرخين المغاربة، العدد ٢٤ خريف ٢٠٠٢م. الرباط، المغرب
ص(٩-٦١)

عيوب الكلام في تراث العرب

بقلم:
د. محمد رفعت أحمد زنجير
جامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا
كلية التربية والعلوم الأساسية
مقر أبو ظبي

بحث معد للمشاركة في ندوة عيوب النطق واللغة والذي تقيمه الجامعة الأردنية ٢٤-٢٥ نيسان ٢٠٠٢م.

العنوان:
أبو ظبي، ص. ب: ٥١٠٢
هاتف وفاكس:
٩٧١ ٢ ٤٤٣٢١٦٠
دولة الإمارات العربية المتحدة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــــــة

تحتل اللغة في كل أمة موضعا في غاية الأهمية، فهي أحد أهم العوامل التي تشكل هوية الأمم، فيقال الأمة العربية والتركية والفارسية ونحو ذلك مما هو نسبة إلى اللغة بالدرجة الأولى، وأما الدين فهو الأكثر أهمية من حيث التشريع وتكوين هوية المجتمع الأيديولوجية وفلسفته واتجاهاته الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، بيد أن الأديان عموما على أهميتها غالبا ما تكون عالمية متجهة إلى الإنسانية قاطبة، متجاوزة لنطاق أمة بعينها أو شعب بعينه، فهي تشكل قواسم مشتركة وفلسفة موحدة للحياة بين منظومة الأمم والشعوب التي تنتمي إليها، وأما اللغة فهي تشكل الهوية القومية لكل أمة، مما يثري الثقافات والتعددية في الرؤى بين أبناء الدين الواحد، ويعطي حدا كبيرا من التنوع في الفكر والآداب والفنون لكل أمة.

والأمة العربية هي الأكثر حظا بين الأمم لأن لغتها هي لغة الكتاب الخالد المنزل من السماء وهو القرآن الكريم، وهو كتاب معجز ببيانه وأسلوبه في الدرجة الأولى، ناهيك عن إعجازه في تشريعه وإخباره بالغيوب وذكره للحقائق العلمية، ونحو ذلك، مما جعل هذه اللغة لا تنفك عن الدين الحنيف، تنتشر حيثما وجد الدين، فتجاوزت بذلك صفة الإقليمية المحدودة، وصارت لغة عالمية، يعبر بواسطتها العربي والمسلم في أي بقعة من العالم عن ما يريد، وقد شعر المسلمون جميعا بأهمية هذه اللغة، ونهض العرب والأعاجم معا لخدمتها بعد الإسلام، ولقد برع الكثير من الأعاجم في التقعيد لعلوم هذه اللغة النحوية والصرفية والبلاغية إلى جانب إخوانهم العرب، وذلك من أمثال: ابن المقفع (ت ١٤٣هـ) سيبويه (ت ١٨٠هـ)، وأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢٠٨هـ)، والجاحظ (ت٢٥٥ هـ)، وابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) وابن جني (ت ٣٩٢هـ)، وعبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ)، والزمخشري (ت ٥٣٧هـ)، والسكاكي (ت ٦٠٦هـ)، وغيرهم من العباقرة الأفذاذ.

وقد حظيت هذه اللغة العربية الشريفة وآدابها منذ الجاهلية وبعد الإسلام بجهود جبارة لم تحظ بها أي لغة أخرى في زمانها، فتم جمع مادتها المعجمية وتدوينها، وتم تأسيس علم النحو ومدارسه المتعددة: الكوفية والبصرية والشامية والمصرية والأندلسية، وحظيت بقية علومها بالتدوين والتقعيد كالصرف والعروض، وتم جمع الأدب ودواوينه، ثم جاء دور البلاغة بعد ذلك، فتم تدوين علومها والتقعيد لتلك العلوم، وبهذا اكتمل صرح البناء اللغوي العظيم، وإنه لإنجاز تفخر به هذه الأمة، ولا سيما انه جاء في عصر لم تكن وسائل البحث العلمي فيه ميسرة ولا منشرة، ولكن الإرادة الصلبة لدى أولئك الأفذاذ من العلماء سيرت أمامهم الجبال.

ومما عني به السابقون: صفاء هذه اللغة، ونفي الغش والزغل عن مفرداتها، فهي لآلئ لا ينبغي أن تختلط بالحصا والتراب، يقول أبو العلاء المعري في هذا السياق:[١]

ومن الناس من لفظه لؤلؤ يبادره اللقط إذ يلـفظ

---

[١] - انظر: مختارات البارودي، (٧١/١).

وبعضهم قولــه كالحصى يقال فيلغى ولا يحفظ

كما تم نفي الهجنة والعيوب عن أساليبها وتراكيبها، وأنجزت في ذلك دراسات متعمقة لأئمة اللغة والنحو والبيان، فكان هذا من أعظم الإنجازات في تاريخنا، لأن اللغة هي الوعاء الحضاري لفكر الأمة ونتاجها العلمي والأدبي.

أهمية البحث

إن اللغة هي هوية الأمة الحضارية، والتمسك بها والسعي إلى إحيائها وتطوير الدراسات حولها دعامة من أولى دعائم النجاح الحضاري لكل أمة تسعى أن يكون لها مستقبل مشرق في الغد القريب، وإذا أردنا معالجة العيوب التي تقع في استخدام اللغة وتعليمها نجدها تتعلق بأمرين:

الأول: النص الذي ينبغي أن يكون سهلا وميسرا.

ثانيا: المتكلم الذي ينبغي أن يكون متلافيا لأخطاء النطق، سواء كانت تلك الأخطاء خَلقية أو مكتسبة.

وقد تكلم سلفنا حول هذين الأمرين، ونحن نريد أن نقدم إضاءة حول جهودهم، لأن العلم حلقات متواصلة، وما حصل من تقدم في علم اللغات الإنسانية في عالمنا اليوم إنما كان مبنيا على جهود من قبلنا، ولعلنا بالاطلاع على جهودهم نستطيع أن نستفيد منها في معالجة العيوب في النطق واللغة والتأليف والبيان، فقد كان القوم أولي خبرة، ونأمل أن نستفيد من خبرتهم من ما قالوه في هذا الصدد، وأن نثمن ما قدموه لنا من معرفة في الميادين العلمية المختلفة، النظرية والتطبيقية منها على حد سواء.

حدود **البحث**

يأتي هذا البحث لمعرفة السياق العام لجهود علمائنا القدامى في معرفة العيوب التي تعتري الكلام والمتكلم حتى القرن الثامن الهجري، لأن اجتناب العيوب هو أساس العملية التعليمية السليمة، وقد عني بها العلماء، إلى أن استقرت وتبلورت على يد السكاكي (ت ٦٠٦ هـ) ومن بعده على يد الخطيب القزويني (ت ٧٣٩ هـ) (ت٧٤٣ هـ) في كتابيه التلخيص، والإيضاح في علوم البلاغة والذي شرح فيه كتاب التلخيص.

خطة البحث

قبل أن نبدأ بذكر خطة البحث نود أن نذكر لمحة حول الفصاحة والبلاغة لأن هذا سيكون مدخلنا إلى الخطة.

الفصاحة عند العلماء من مقومات البلاغة، فكل بليغ فصيح وليس العكس، وذكر العلماء أن ‘‘الفصاحة يوصف بها المفرد والكلام والمتكلم، والبلاغة يوصف بها الأخيران فقط’’[٢].

وأما البلاغة في الكلام فهي: "مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته’’[٣].

وهي في المتكلم: "ملكة يقتدر بها على تأليف كلام بليغ’’[٤]، والبلاغة ذات مراتب متعددة‘‘ولها طرفان: أعلى وهو حد الإعجاز وما يقرب منه، وأسفل وهو ما إذا غير الكلام عنه إلى ما دونه التحق عند البلغاء بأصوات الحيوانات، وبينهما مراتب كثيرة، وتتبعها وجوه أخر تورث الكلام حسنا’’[٥].

ومن هذه التعريفات التي استقر عليها علم الفصاحة والبلاغة عند المتأخرين في مرحلة ما بعد السكاكي، نستطيع أن نحدد أربعة مستويات للبحث في العيوب التي تعتري اللغويات والآداب عموما:

المستوى الأول: البحث في المفردات.

المستوى الثاني: البحث في التراكيب.

المستوى الثالث: البحث في المعاني والأساليب والأغراض العامة للكلام.

المستوى الرابع: البحث في أحوال المتكلم من حيث فصاحته وبلاغته.

وسوف نتناول الحديث عن هذه المستويات من زاوية العيوب التي تعتريها مما ذكره القدماء ضمن مباحث أربعة، ونحاول فيها تتبع الأطر العامة لقوانين القدماء بإيجاز، وسنستهل البحث بمقدمة عن أهمية البيان وما يعتريه من العيوب مأخوذة من ظلال الكتاب والسنة، آملا أن أكون قد عرفت بجهود العلماء في هذا الصدد، وراجيا أن يوفقنا الله جميعا إلى مزيد من الجهود لتذليل طرق تعليم هذه اللغة وتجنب الأخطاء في نطقها وأساليبها المختلفة.

---

[٢] - التلخيص، للخطيب القزويني، شرحه عبد الرحمن البرقوقي، ص (٢٤)، دار الفكر العربي.

[٣] - التلخيص، ص (٣٣).

[٤] - التلخيص، ص (٣٦).

[٥] - التلخيص، ص (٣٥).

تمهيـــد

البيان من أجل نعم الله على الإنسان، وهو من أهم خصائصه الإنسانية التي تميزه عن غيره من الكائنات الحية، والبيان وإن كان وسيلة للتخاطب والتعبير بين الناس كما هو معلوم، فهو صورة عن العقل الإنساني، وثمرة من ثمراته، وأثر من آثاره.

والبيان ضرورة للأنبياء والمرسلين عليهم السلام، لأنهم يواجهون أقوامهم بالحجة القاطعة والقول الفصل، فلا بد لهم من حسن البيان، بل هم عليهم السلام أئمة البيان في هذا العالم، قال تعالى: (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم)[٦].

ويأتي في مقدمة الأنبياء والمرسلين فصاحة وبلاغة صفوة الخلق محمد عليه السلام الذي اختص من بينهم بجوامع الكلم، حيث قال متحدثا بنعمة الله عليه: (فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض ومسجدا وطهورا، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون)[٧]. وهو بالإضافة إلى تفضيله على الأنبياء عليهم السلام بجوامع الكلم، فقد فضل أيضا على بني جنسه من العرب ببلاغته وفصاحته حيث قال: (أنا أعربكم، أنا من قريش ولساني لسان بني سعد بن بكر).[٨]

فعملية البيان في البداية والنهاية ضرورة للإنسان حتى يعيش على وجه الأرض، ويتواصل مع بني جنسه، وضرورة للأنبياء والمرسلين حتى يقيموا منهج الله في الأرض، وضرورة لأعداء هذا المنهج أيضا الذين نصبوا أنفسهم لمواجهة الأنبياء والمرسلين بالكلام المنمق أو زخرف القول كما ذكر القرآن الكريم، وفي هذا الصدد يقول الجاحظ (ت ٢٥٥هـ): "وذكر الله تبارك وتعالى جميل بلائه في تعليم البيان، وعظيم نعمته في تقويم اللسان، فقال: (الرحمن، علم القرآن، خلق الإنسان، علمه البيان)[٩]، وقال تعالى: (هذا بيان للناس)[١٠]، ومدح القرآن بالبيان والإفصاح، وبحسن التفصيل والإيضاح، وبجودة الإفهام وحكمة الإبلاغ، وسماه فرقانا كما سماه قرآنا، وقال: (عربي مبين)[١١]...وذكر الله عز وجل لنبيه عليه السلام حال قريش في بلاغة المنطق، ورجاحة الإحلام، وصحة العقول، وذكر العرب وما فيها من الدهاء والنكراء والمكر، ومن بلاغة الألسنة، واللَّدَد عند الخصومة، فقال تعالى: (فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد)[١٢]، وقال: (وتنذر به قوما لدا)[١٣].."[١٤]

وهناك أحد الأنبياء من أولي العزم كانت لديه عقدة في لسانه، وهو موسى عليه السلام، وقد تعددت الأقوال في سببها، قيل إنه أصابه في لسانه لثغة، بسبب تبك الجمرة التي وضعها على لسانه، والتي كان فرعون أراد اختبار عقله بها[١٥]، وأيا كان السبب فما

---

[٦] - سورة إبراهيم، الآية (٤).
[٧] - رواه مسلم، انظر: مشكاة المصابيح، للتبريزي، بتحقيق الألباني، (١٦٠١/٣).
[٨] - رواه ابن سعد ورمز له السيوطي بالصحة، انظر: فيض القدير، للمناوي (١٦٠١/٣).
[٩] - سورة الرحمن، الآيات (١-٤).
[١٠] - سورة آل عمران، الآية (١٣٨).
[١١] - سورة النحل، الآية (١٠٣).
[١٢] - سورة الأحزاب، الآية (١٩).
[١٣] - سورة مريم، الآية (٩٧).
[١٤] - البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، (٨/١).
[١٥] - انظر: قصص الأنبياء، ابن كثير، ص (٣٢٣).

يعنينا أن تلك العقدة كانت ابتلاء من الله منذ الطفولة الباكرة، وهي تحول بين موسى عليه السلام والقيام بواجبه بالدعوة على الوجه الأكمل، وكان أعداؤه وفي مقدمتهم فرعون يأخذون عليه هذا العيب اللساني، فلم يكن أمام موسى إلا أن يلتجئ إلى الله تعالى في مناجاته له طالبا منه أن يحل تلك العقدة، وأن يساعده بابتعاث أخاه معه إلى الطاغية فرعون لأنه كان أفصح منه لسانا، ويستجيب الخالق الكريم بفضله لدعاء موسى عليه السلام، فيحل عقدة لسانه، ويبعث معه أخاه إلى فرعون طاغية العصور، فيؤديان رسالة ربهما على أكمل وجه وبأحسن بيان، وفي هذا الصدد يقول الجاحظ: "وسأل الله عز وجل موسى بن عمران عليه السلام، حين بعثه إلى فرعون بإبلاغ رسالته، والإبانة عن حجته، والإفصاح عن أدلته، فقال حين ذكر العقدة التي كانت في لسانه، والحُبسة التي كانت في بيانه: (واحلل عقدة من لساني، يفقهوا قولي)[١٦].

وأنبأنا الله تبارك وتعالى عن تعلق فرعون بكل سبب، واستراحته إلى كل شغب، ونبهنا بذلك على مذهب كل جاحد معاند، وكل محتال مكايد، حين خبرنا بقوله: (أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين)[١٧]. وقال موسى: صلى الله عليه وسلم: (وأخي هارون أفصح مني لسانا فأرسله معي ردءا يصدقني)[١٨] وقال: (ويضيق صدري ولا ينطلق لساني)[١٩]. رغبة منه في غاية الإفصاح بالحجة، والمبالغة في وضوح الدلالة، لتكون الأعناق إليه أميل، والعقول عنه أفهم، والنفوس إليه أسرع، وإن كان قد يأتي من وراء الحاجة، ويبلغ أفهامهم على بعض المشقة. ولله عز وجل أن يمتحن عباده بما شاء من التخفيف والتثقيل، ويبلو أخبارهم كيف أحب من المحبوب والمكروه، ولكل زمان ضرب من المصلحة، ونوع من المحنة، وشكل من العبادة. ومن الدال على أن الله تعالى حل تلك العقدة، وأطلق ذلك التعقيد والحبسة، قوله: (رب اشرح لي صدري، ويسر لي أمري، واحلل عقدة من لساني، يفقهوا قولي، واجعل لي وزيرا من أهلي، هارون أخي، اشدد به أزري، وأشركه في أمري)[٢٠] إلى قوله: (قد أوتيت سؤلك يا موسى)[٢١] فلم تقع الاستجابة على شيء من دعائه دون شيء لعموم الخبر"[٢٢]

وفي هذه القصة من العبر الكثير، ويهمنا هنا أن فيها ما يحثنا على ضرورة تحسين الأداء اللغوي لدى أطفالنا وكبارنا، وإذا تعسر ذلك بواسطة الطب الذي أمرنا النبي عليه السلام بالتماسه، فليكن باللجوء إلى الله مسبب الأسباب، وهو على كل شيء قدير.

وفي القرآن توجيهات وآداب كثيرة للبيان والمناقشة والحوار، فمنها ضرورة الكلام بصوت لا يتجاوز آذان السامعين فيؤذيهم، قال تعالى على لسان لقمان عليه السلام: (واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير)[٢٣]، وأمر باجتناب الكلمات الموهمة لأكثر من معنى بقصد التلبيس على المخاطب، قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا)[٢٤]، والسبب في الآية أن المؤمنين كانوا

---

[١٦] - سورة طه، الآيتان (٢٧-٨٢).
[١٧] - سورة الزخرف، الآية (٥٢).
[١٨] - سورة القصص، الآية (٣٤).
[١٩] - سورة الشعراء، الآية (١٣).
[٢٠] - سورة طه، الآيات (٢٥-٣٢).
[٢١] - سورة طه، الآية (٣٦).
[٢٢] - البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، (١/٧-٨).
[٢٣] - سورة لقمان، الآية (١٩).
[٢٤] - سورة البقرة، الآية (١٠٤).

يقولون للنبي عليه السلام إذا ألقى عليهم شيئا من العلم راعنا يا رسول الله! أي راقبنا وانتظرنا وتأن بنا حتى نفهمه، وكانت لليهود كلمة يتسابون بها عبرانية أو سريانية وهي (راعينا) فلما سمعوا بقول المؤمنين راعنا، اغتنموا الفرصة وخاطبوا به الرسول وهم يعنون تلك المسبة، فنهي المؤمنون عنها وأمروا بما هو بمعناها وهو انظرنا كما ذكر الزمخشري (ت ٥٣٧هـ)[٢٥].

ويبدو أن اليهود كانوا مولعين بتحريف الكلام وتغييره، فإن من تجرأ على تحريف كلام الله لا يقوم شيء لصده وردعه عن غيه، قال تعالى:(من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم وأقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا)[٢٦]. والتحريف: الإمالة والإزالة "لأنهم إذا بدلوه ووضعوا مكانه غيره فقد أمالوه عن مواضعه"[٢٧]. واللي: الفتل والتحريف، "أي يفتلون بألسنتهم الحق إلى الباطل حيث يضعون (راعنا) موضع (انظرنا) و (غير مسمع) موضع لا أسمعت مكروها. أو يفتلون بألسنتهم ما يضمرونه من الشتم إلى ما يظهرونه من التوقير نفاقا"[٢٨].

وفي السنة النبوية حديث مفصل عن البيان، وقد مدحه النبي عليه السلام بشكل عام، فقد قال عليه السلام مشيدا بعظمة البيان وتأثيره في النفوس: (إن من البيان لسحرا)[٢٩]، وقال عليه السلام: (إن من الشعر حكمة)[٣٠]. وقد اتخذ الإسلام الكلمة الموحية المؤثرة أداة لنشر الدعوة، وجعل رسالة الأديب المسلم الذود عن هذه الدعوة، فعن البراء، قال: قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوم قريظة لحسان بن ثابت: (اهج المشركين، فإن جبريل معك) وكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول لحسان: (أجب عني، اللهم أيده بروح القدس) متفق عليه[٣١].

فالكلمة الجميلة الساحرة المؤثرة أمضى الأسلحة عبر التاريخ، وقد استخدمها الأنبياء والمرسلون، والدعاة والمصلحون، استخدمها هؤلاء جميعا لتحمل أفكارهم وتحقق غاياتهم التي يسعون لها، والكلمة الجميلة في الإسلام تتميز عما هي في الآداب والفنون، فهي بالإضافة إلى جمالها، لا بد أن تكون سامية الهدف، صادقة الإحساس، نبيلة المحتوى، ولقد كان حسان بن ثابت رضي الله عنه رائد الأدب الإسلامي، وعمدة الأدباء المسلمين على مر الدهور، فقد ذاد عن النبي الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ بلسانه بما هو أمضى من السيوف القاطعة، وأفتك من الرماح والأسنة، وكيف لا يكون كذلك وقد دعا له النبي صلى الله عليه وسلم بالتأييد والتثبيت من جبريل مباشرة عليه الصلاة والسلام؟.

ويرى السهيلي أن الشعر كالنثر في الإباحة، وأن المذموم منه هو ما هجي به رسول الله عليه الصلاة والسلام، وقد تحدث عن كراهة رواية أشعار الكفرة، فقال: "لكني لا أعرض لشيء من أشعار الكفرة التي نالوا فيها من رسول الله صلى الله عليه

---

[٢٥] ـ انظر: الكشاف، تحقيق مصطفى حسين أحمد، (١٧٤/١)، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٦هـ /١٩٨٦م.

[٢٦] ـ سورة النساء، الآية (٤٦).

[٢٧] ـ الكشاف، (٥١٦/١).

[٢٨] ـ الكشاف، (٥١٧/١-٥١٨).

[٢٩] ـ رواه البخاري، انظر: مشكاة المصابيح، (١٣٥٠/٣).

[٣٠] ـ رواه البخاري، انظر: مشكاة المصابيح، (١٣٥٠/٣).

[٣١] ـ مشكاة المصابيح، (١٣٥١/٣).

وسلم إلا شعر من أسلم وتاب، كضرار وابن الزبعرى، وقد كره كثير من أهل العلم فعل ابن إسحاق في إدخاله الشعر الذي نيل فيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن الناس من اعتذر عنه، قال: حكاية الكفر ليس بكفر، والشعر كلام، فلا فرق بين أن يروى كلام الكفرة ومحاجتهم للنبي صلى الله عليه وسلم وردهم عليه منثورا، وبين أن يروى منظوما، وقد حكى ربنا سبحانه في كتابه العزيز مقالات الأمم لأنبيائها، وما طعنوا به عليهم، فما ذكر من هذا على جهة الحكاية نظما أو نثرا، فإنما يقصد به الاعتبار بما مضى، وتذكر نعمة الله على الهدى، والإنقاذ من العمى، وقد قال عليه [الصلاة و] السلام: (لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا خيرا له من أن يمتلئ شعرا)[٣٢]، وتأولته عائشة رضي الله عنها في الأشعار التي هجي بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنكرت قول من حمله على العموم في جميع الشعر، وإذا قلنا بما روي عن عائشة في ذلك، فليس في الحديث إلا عيب امتلاء الجوف منه، وأما رواية اليسير منه على جهة الحكاية، أو الاستشهاد على اللغة، فلم يدخل في النهي، وقد رد أبو عبيد على من تأول الحديث في الشعر الذي هجي به الإسلام، وقال: رواية نصف بيت من ذلك الشعر حرام، فكيف يخص امتلاء الجوف منه بالذم؟ وعائشة أعلم، فإن البيت والبيتين والأبيات من تلك الأشعار على جهة الحكاية بمنزلة الكلام المنثور الذي ذموا به رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا فرق، وقول عائشة الذي قدمناه ذكره ابن وهب في جامعه، وعلى القول بالإباحة، فإن النفس تقذر تلك الأشعار، وتبغضها وقائليها في الله، فالإعراض عنها خير من الخوض فيها والتتبع لمعانيها"[٣٣].

وهذا الموقف من السهيلي يدل على رؤية نقدية واعية لدور الشعر والنثر في حياة الناس الأدبية، فلا يكره الشعر مطلقا، ولا النثر كذلك، وإنما يكره إذا كان ترويجا للحملة الجاهلية ضد الدعوة الإسلامية، ومع هذا فهو لم يقل بحرمته، لأن ناقل الكفر ليس بكافر.

والآثار التي وردت في ذم البيان كلها لها سبب وتأويل وليست مطلقة، فالبيان إذا أصبح خلبا يقلب الحق باطلا والباطل حقا، أو دريئة للمتكسبين به، أو أداة للتفاصح والتعالي على الناس فهو مرفوض من هذه الجهة، وقد عرض الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) لهذا الأمر فقال: "وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله يبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه، تخللَ الباقرة بلسانها)[٣٤]. وقيل: (لو كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب). قال صاحب البلاغة والخطابة، وأهل البيان وحب التبيين: إنما عاب النبي صلى الله عليه وسلم المتشادقين والثرثارين، والذي يتخلل بلسانه، تخللَ الباقرة بلسانها، والأعرابي المتشادق، وهو الذي يصنع بفكيه وبشدقيه ما لا يستجيزه أهل الأدب من خطباء أهل المدر، فمن تكلف ذلك منكم فهو أعيبُ، والذم له ألزم... وليس الصمت كله أفضلَ من الكلام كله، ولا الكلام كله أفضلَ من السكوت كله، بل قد علمنا عامة الكلام أفضل من عامة السكوت"[٣٥]

ويضيف الجاحظ في سياق آخره رده على من زعم كراهية البيان مطلقا: "وقد زعمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (شعبتان من شعب النفاق: البذاء والبيان،

---

[٣٢] - رواه مسلم، وفيه: (جوف رجل). انظر: مشكاة المصابيح، (١٣٥٥/٣).
[٣٣] - الروض الأنف، (٢٧/٣).
[٣٤] - رواه الترمذي وأبو داود بلفظ: (كما يتخلل الباقرة..). انظر: مشكاة المصابيح، (١٣٥٣/٣).
[٣٥] - انظر: البيان والتبيين، (٣٧١/١).

وشعبتان من شعب الإيمان: الحياء والعيّ)[٣٦] ونحن نعوذ بالله أن يكون القرآن يحث على البيان ورسول الله صلى الله عليه وسلم يحث على العِيِّ، ونعوذ بالله أن يجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين البَذاء والبيان، وإنما وقع النهي على كل شيء جاوز المقدار، ووقع اسم العِيِّ على كل شيء قصَّر عن المقدار، فالعِيُّ مذموم والخطل مذموم، ودين الله تبارك وتعالى بين المقصر والغالي"[٣٧]. ويبين الجاحظ أن النبي إنما عاب المتشدقين بالبيان، يقول: (وعاب [يقصد النبي] الفدَّادين[٣٨]، والمتزيدين في جهارة الصوت وانتحال سعة الأشداق، ورُحْب الغلاصم، وهدل الشفاه"[٣٩].

---

[٣٦] - رواه الترمذي بلفظ: (الحياء والعي شعبتان من الإيمان، والبذاء والبيان شعبتان من النفاق). انظر: مشكاة المصابيح (١٣٥٢/٣).

[٣٧] - انظر: البيان والتبيين، (٢٠٢/١).

[٣٨] - جمع فداد وهو الجافي الصوت والكلام.

[٣٩] - البيان والتبيين، (١٣/١).

المبحث الأول:

عيوب الألفاظ

الفصاحة تقتضي سلامة اللفظ المفرد أولا، ثم فصاحة الكلام المركب من الجمل، والفصاحة في المفرد عند البلاغيين تكون بتجرده عن ثلاثة عيوب، وهي عندهم: "خلوصه من تنافر الحروف، والغرابة، ومخالفة القياس"[٤٠].

والتنافر بين الحروف يرجع إلى بنية الكلمة أساسا، وذلك عندما لا يكون هنالك تجانس صوتي بين حروفها مما يسبب صعوبة النطق بها وهو معيب عند الفصحاء، ويعبر البلاغيون عن ذلك بقولهم: "فالتنافر منه ما تكون الكلمة بسببه متناهية في الثقل على اللسان، وعسر النطق بها، كما روي أن أعرابيا سئل عن ناقته، فقال: (تركتها ترعى الهُعْخُعَ). ومنه ما دون ذلك كلفظ مستشزرات في قول امرئ القيس:

* غدائره مستشزرات إلى العلا *[٤١]

ولاشك أن هذه الحروف هي بنية الكلمات، والعناية بها هو أساس وجود النص الجيد، ولذلك قال الباقلاني (ت ٤٠٣ هـ): "وعذوبة الشعر تذهب بزيادة حرف أو نقصان حرف، فيصير إلى الكَزازة، وتعود ملاحته بذلك مُلوحة، وفصاحته عِيا، وبراعته تكلفا، وسلاسته تعسفا، وملاسته تلويا وتعقد"[٤٢].

بل لقد اشترط الأسلاف أيضا خفة الحركات في الكلمة الواحدة لكي يسهل النطق بها، يقول ابن الأثير (ت٥٥٨ هـ): "ومن أوصاف الكلمة أن تكون مبنية من حركات خفيفة، ليخف النطق بها، وهذا الوصف يترتب على ما قبله من تأليف الكلمة، ولهذا إذا توالى حركتان خفيفتان في كلمة واحدة، لم تستثقل، وبخلاف ذلك الحركات الثقيلة، فإنه إذا توالى منها حركتان في كلمة واحدة استثقلت، ومن أجل ذلك استثقلت الضمة على الواو، والكسرة على الياء، لأن الضمة من جنس الواو، والكسرة من جنس الياء، فتكون عند ذلك كأنها حركتان ثقيلتان"[٤٣]

وأما الغرابة فهي: "أن تكون الكلمة وحشية، لا يظهر معناها، فيحتاج في معرفته إلى أن ينقر عنها في كتب اللغة المبسوطة، كما روي عن عمر بن عيسى النحوي، أنه سقط عن حمار، فاجتمع عليه الناس، فقال: (ما لكم تكأكأتم عليَّ تكأكؤكم على ذي جنة؟! افرنقعوا عني). أي اجتمعتم تنحوا.

أو يخرج لها وجهٌ بعيد، كما في قول العجاج:

* وفاحما ومَرْسِنا مُسرجا *

فإنه لم يعرف ما أراد بقوله: (مسرجا) حتى اختلف في تخريجه، فقيل هو من قولهم للسيوف: (سيوف سريجية)، منسوبة إلى قَيْنٍ يقال له: سُريج. يريد أنه في الاستواء والدقة كالسيف السريجي. وقيل: من السراج. يريد أنه في البريق كالسراج. وهذا يقرب

---

[٤٠] - التلخيص، للخطيب القزويني، شرحه عبد الرحمن البرقوقي، ص (٢٦).

[٤١] - الإيضاح في علوم البلاغة، للخطيب القزويني، شرحه د. محمد عبد المنعم خفاجي، (٧٢/١-٧٣). دار الكتاب اللبناني، الطبعة الخامسة، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

[٤٢] - إعجاز القرآن، تحقيق السيد صقر، ص (٢٢٠)، دار المعارف بمصر، الطبعة الثالثة.

[٤٣] - المثل السائر، (٢٠٦/١-٢٠٧).

من قولهم: (سَرِجَ وجهه) بكسر الراء، أي: حسُن. و (سرَّجَ الله وجهه) أي: بهجه وحسنه".[٤٤]

والعيب الثالث الذي يعتري اللفظة المفردة هو "ومخالفة القياس، كما في قول الشاعر:

* الحمد لله العلي الأجلل *

فإن القياس: (الأجلِّ) بالإدغام. وقيل: خلوصه مما ذكر، ومن الكراهة في السمع، بأن تُمجَّ الكلمة، ويُتبرأ من سماعها، كما يُتبرأ من سماع الأصوات المنكرة، فإن اللفظ من قبَيل الأصوات، والأصوات منها ما تستلذ النفس سماعه، ومنها ما تكره سماعه، كلفظ (الجِرِشى) في قول أبي الطيب:

* كريمِ الجِرِشَّى شريفِ النسبْ *

أي كريم النفس،وفيه نظر. ثم علامة كون الكلمة فصيحة أن يكون استعمال العرب الموثوق بعربيتهم لها كثيرا، أو أكثر من استعمالهم ما بمعناها"[٤٥]

وينبه الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) إلى أنه عادة ما يميل الناس إلى استخدام الألفاظ السهلة "وقد يستخف الناس ألفاظا ويستعملونها، وغيرها أحق بذلك منها، ألا ترى أن الله تبارك وتعالى لم يذكر في القرآن الجوع إلا في موضع العقاب أو في موضع الفقر المدقع والعجز الظاهر، والناس لا يذكرون السغب، ويذكرون الجوع في حال القدرة والسلامة"[٤٦].

وبسبب تتبع هذه السهولة ربما تركت العامة الفصيح واتبعت ما هو أقل فصاحة، يقول الجاحظ (ت ٢٥٥هـ): "والعامة ربما استخفت أقل اللغتين وأضعفهما، وتستعمل ما هو أقل في أصل اللغة استعمالا، وتدع ما هو أظهر وأكثر، ولذلك صرنا نجد البيت من الشعر قد سار، ولم يسر ما هو أجود منه، وكذلك المثل السائر"[٤٧]. وهذا أمر مهم للغاية لفت الجاحظ الأنظار إليه، يحمل في طياته ضرورة مراعاة أحوال الناس وفطرتهم، فلا ينبغي أن يكون هم الأديب أو الشاعر تصيد الغريب، والتحدث بلغة لا يفهمها الناس، وإنما ينبغي مراعاة أحوالهم لأن رسالة الأدب موجهة في الأصل إليهم، ولذلك انتقد أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥ هـ) منهج المفضل الذي كان يتتبع غريب اللغة، ويبتعد عما هو شائع مشهور، يقول: "وكان المفضل يختار من الشعر ما يقل تداول الرواة له، ويكثر الغريب فيه، وهذا خطأ من الاختيار، لأن الغريب لم يكثر في كلام إلا أفسده، وفيه دلالة الاستكراه والتكلف"[٤٨].

ولأن مراعاة أحوال الناس ضرورة، فهم بطبعهم ينـزعون إلى السهولة في الألفاظ والتراكيب، فقد دعا الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) إلى إلقاء النوادر كما هي، وعدم التلاعب بحروفها وكلماتها بقصد إصلاح اللحن فيها، لأن ذاك سيفسد جمالها، ولا يتقبلها الناس بعد ذلك، يقول: "ومتى سمعت حفظك الله بنادرة من نوادر كلام الأعراب، فإياك أن تحكيها إلا مع إعرابها ومخارج ألفاظها، فإنك إن غيرتها بأن تلحن في إعرابها، وأخرجتها مخارج كلام المولدين والبلديين، خرجت من تلك الحكاية وعليك فضل كبير،

---

[٤٤] - الإيضاح في علوم البلاغة، للخطيب القزويني، شرحه د. محمد عبد المنعم خفاجي، (٧٣/١).

[٤٥] - الإيضاح في علوم البلاغة، (٧٤/١).

[٤٦] - البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، (٢١/١) مكتبة الخانجي بمصر، الطبعة الرابعة، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

[٤٧] - البيان والتبيين، (٢٠/١).

[٤٨] - كتاب الصناعتين، تحقيق د. مفيد قميحة، ص (١١)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

وكذلك إذا سمعت بنادرة من نوادر العوام، ومُلحة من مُلح الحشوة والطَّغام، فإياك أن تستعمل فيها الإعراب، أو تتخير لها لفظا حسنا، أو تجعل لها من فيكَ مخرجا سريا، فإن ذلك يفسد الإمتاع بها، ويخرجها من صورتها، ومن الذي أريدت له، ويذهب استطابتهم إياها واستملاحهم لها"[٤٩].

ومن عيوب الألفاظ أيضا مما ذكره البغدادي (ت ٥١٧ هـ): اللحن، والتجميع[٥٠]، والإطالة من غير ضرورة، والتكرير، والوحشي المتروك[٥١]، وبعض هذه العيوب يدخل في عيوب التراكيب كما سيأتي.

---

[٤٩] - البيان والتبيين، (١/١٤٥-١٤٦).

[٥٠] - عرفه بقوله: "هو أن يكون مقطع الجزء الأول من الجزأين المتتاليين على وزن ما، فيؤتى بالتالي له على غير وزنه، ومنافرا في النظم له".

[٥١] - قانون البلاغة في نقد النثر والشعر، تحقيق د. محسن فياض عجيل، ص(٣٣-٣٤).

المبحث الثاني:

عيوب التراكيب

تحدث العلماء عن أهمية رصف الكلام وحسن سبكه، يقول العسكري (ت ٣٩٥ هـ):"أجناس الكلام المنظوم ثلاثة: الرسائل، والخطب، والشعر. وجميعها تحتاج إلى حسن التأليف وجودة التركيب، وحسن التأليف يزيد المعنى وضوحا وشرحا، ومع سوء التأليف ورداءة الرصف والتركيب شعبة من التعمية، فإذا كان المعنى سبيا، ورصف الكلام رديا، لم يوجد له قبول، ولم تظهر عليه طلاوة ... وسوء الرصف تقديم ما ينبغي تأخيره منها، وصرفها عن وجوهها، وتغيير صيغتها، ومخالفة الاستعمال في نظمها"[٥٢].

وبين أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥ هـ) السبيل الأمثل لصناعة الكلام الجيد، يقول: "إذا أردت أن تصنع كلاما فأخطر معانيه ببالك، وتنوق له كرائم اللفظ، واجعلها على ذكر منك، ليقرب عليك تناولها، ولا يتعبك تطلبها، واعمله ما دمت في شباب نشاطك، فإذا غشيك الفتور، وتخونك الملال، فأمسك، فإن الكثير مع الملال قليل، والنفيس مع الضجر خسيس، والخواطر كالينابيع، يسقى منها شيء بعد شيء، فتجد حاجتك من الري، وتنال أربك من المنفعة، فإذا أكثرت عليها نضب ماؤها، وقل عنك غناؤها"[٥٣].

والتراكيب هي الجمل المركبة من الكلمات المفردة، والتي يتكون من اجتماعها وتآلفها النص الأدبي، ولا بد حتى تكون سليمة من أن تتجنب العيوب التي ذكرها البلاغيون، وهي "في الكلام: خلوصه من ضعف التأليف، وتنافر الكلمات، والتعقيد، مع فصاحتها"[٥٤].

ويعنون بالضعف عدم اتباع الذائع الصحيح من قواعد النحو العربي، "فالضعف كما في قولنا: (ضرب غلامُهُ زيدا) فإن رجوع الضمير إلى المفعول المتأخر لفظا ممتنع عند الجمهور، لئلا يلزم رجوعه إلى متأخر لفظا ورتبة"[٥٥].

وأما التنافر فهو عدم الانسجام الصوتي بين المفردات التي يتركب منها الكلام، "والتنافر: منه ما تكون الكلمات بسببه متناهية في الثقل على اللسان، وعُسْر المنطق بها متتابعة، كما في البيت الذي أنشده الجاحظ:

وقبر حرب بمكان قفر وليس قرب قبر حرب قبر

ومنه ما دون ذلك كما في قول أبي تمام:

كريم متى أمدحه أمدحه والورى معي وإذا ما لمته لمته وحدي

فإن في قوله: (أمدحه) ثقلا ما، لما بين الحاء والهاء من التنافر"[٥٦].

وأما التعقيد فهو يسبب خفاء الدلالة بسبب سوء النظم، أو فساد في المعنى، ويعبرون عنه بقولهم: "..والتعقيد أن لا يكون الكلام ظاهر الدلالة على المراد به، وله سببان:

---

[٥٢] - كتاب الصناعتين، تحقيق د. مفيد قميحة، ص (١٧٩).
[٥٣] - كتاب الصناعتين، ص (١٥١).
[٥٤] - التلخيص، للخطيب القزويني، شرحه عبد الرحمن البرقوقي، ص (٢٦).
[٥٥] - الإيضاح في علوم البلاغة، للخطيب القزويني، شرحه د. محمد عبد المنعم خفاجي، (٧٤/١-٧٥).
[٥٦] - الإيضاح في علوم البلاغة، (٧٥/١).

أحدهما: ما يرجع إلى اللفظ، وهو أن يختل نظم الكلام، ولا يدري السامع كيف يتوصل منه إلى معناه، كقول الفرزدق:

وما مثله في الناس إلا مملكا أبو أمه حي أبوه يقاربه

كان حقه أن يقول: وما مثله في الناس حي يقاربه، إلا مملكا أبو أمه أبوه... فالضمير في (أمه) للمملك، وفي (أبوه) للممدوح، ففصل بين (أبو أمه) وهو مبتدأ، و(أبوه) وهو خبره بـ: (حي) وهو أجنبي، وكذا فصل بين (حي) و (يقاربه) وهو نعت حي بـ (أبوه) وهو أجنبي، وقدم المستثنى على المستثنى منه، فهو كما تراه في غاية التعقيد. فالكلام الخالي من التعقيد اللفظي: ما سلم نظمه من الخلل، فلم يكن فيه ما يخالف الأصل من تقديم أو تأخير، أو إضمار أو غير ذلك، إلا وقد قامت عليه قرينة ظاهرة لفظية أو معنوية...

والثاني: ما يرجع إلى المعنى، وهو ألا يكون انتقال الذهن من المعنى الأول إلى المعنى الثاني الذي هو لازمه والمراد به ظاهرا، كقول العباس بن الأحنف:

سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا وتسكب عيناي الدموع لتجمدا

كنى بسكب الدموع عما يوجبه الفراق من الحزن وأصاب ... ثم طرد ذلك في نقيضه، فأراد أن يكني عما يوجبه دوام التلاقي من السرور بالجمود، لظنه أن الجمود خلو العين من البكاء مطلقا من غير اعتبار شيء آخر، وأخطأ، لأن الجمود خلو العين من البكاء في حال إرادة البكاء منها، فلا يكون كناية عن المسرة، وإنما يكون كناية عن البخل"[٥٧].

ولا يدخل في التعقيد ما نسميه اليوم بالغموض الفني، بسبب استعمال الاستعارات أو التفنن في الأداء الفني، فذاك مما هو مطلوب في الأدب، وفي هذا الصدد قال الشيخ عبد القاهر: "واعلم أن من شأن الاستعارة أنك كلما زدت إرادتك التشبيه إخفاء، ازدادت الاستعارة حسنا، حتى إنك تراها أغرب ما تكون إذا كان الكلام قد أُلف تأليفا إن أردت أن تفصح فيه بالتشبيه، خرجت إلى شيء تعافه النفس، ويلفظه السمع"[٥٨]

كما لا يدخل في التعقيد أيضا أبيات المعاني، يقول القاضي الجرجاني (ت٣٩٢ هـ): "وليس في الأرض بيت من أبيات المعاني لقديم أو محدث إلا ومعناه غامض مستتر، ولولا ذلك لم تكن إلا كغيرها من الشعر، ولم تُفرد فيها الكتب المصنفة، وتُشغل باستخراجها الأفكار الفارغة، ولسنا نريد القسم الذي خفاء معانيه واستتارها من جهة غرابة اللفظ وتوحش الكلام"[٥٩]

ويذكر الخطيب القزويني (ت ٧٣٩ هـ) تصورا آخر لفصاحة الكلام، يقول: "وقيل: فصاحة الكلام هي خلوصه مما ذكر، ومن كثرة التكرار وتتابع الإضافات، كما في قول أبي الطيب:

* سبوح لها منها عليها شواهد *

وفي قول ابن بابك:

---

[٥٧] - الإيضاح في علوم البلاغة، للخطيب القزويني، شرحه د. محمد عبد المنعم خفاجي، (٧٦/١-٧٧).

[٥٨] - دلائل الإعجاز، تحقيق محود شاكر، ص (٤٥٠).

[٥٩] - الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البيجاوي ص (٤١٧).

* حمامةٌ جرْعى حَوْمةَ الجندل اسجعي *

وفيه نظر، لأن ذلك إن أفضى باللفظ إلى الثقل على اللسان، فقد حصل الاحتراز عنه بما تقدم، وإلا فلا تُخِل بالفصاحة، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم: يوسف بن يعقوب بن إسحاق ابن إبراهيم)"[٦٠][٦١]

وممن عرض الحديث مفصلا عن عيوب التراكيب اللفظية قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧ هـ)، فتحدث عن عيوب اللفظ، فقال: "أن يكون ملحونا وجاريا على غير سبيل الإعراب واللغة، وقد تقدم من استقصى هذا الفن، وهم واضعو صناعة النحو، وأن يركب الشاعر منه ما ليس بمستعمل إلا في الفرط، ولا يتكلم به إلا شاذا، وذلك هو الوحشي الذي مدح عمر بن الخطاب زهيرا بمجانبته له، وتنكبه إياه، فقال: كان لا يتبع حوشي الكلام، وهذا الباب يجوز للقدماء ليس من أجل أنه حسن، لكن لأن من شعرائهم من كان أعرابيا قد غلبت عليه العجرفية، وللحاجة أيضا إلى الاستشهاد بأشعارهم في الغريب، ولأن من كان يأتي منهم بالوحشي، لم يكن يأتي به على جهة التطلب له، والتكلف لما يستعمله منه، ولكن لعادته، وعلى سجية لفظه"[٦٢].

ثم تحدث عن المعاظلة، فقال: "وهي التي وصف عمر بن الخطاب زهيرا بمجانبته لها أيضا، فقال: وكان لا يعاظل في الكلام. وسألت أحمد بن يحيى عن المعاظلة، فقال: مداخلة الشيء، يقال: تعاظل الجرادتان، وعظل الرجل المرأة، إذا ركب أحدهما الآخر."[٦٣]

وقال: وما أعرف ذلك إلا في فاحش الاستعارة، مثل قول أوس بن حجر:

وذاتُ هدمٍ عارٍ نواشرُها تُصمِتُ بالماء تولباً جدعا[٦٤]

فسمى الصبي تولبا، وهو ولد الحمار"[٦٥]

وقد فصل من بعده ابن سنان الخفاجي (ت ٤٦٣هـ) الكلام عن المعاظلة، فعرفها ابن سنان بقوله: "ومن وضع الألفاظ موضعها اللائق بها ألا يكون الكلام شديد المداخلة، يركب بعضه بعضا، وهذا هو المعاظلة التي وصف عمر بن الخطاب رضي الله عنه زهير بن أبي سلمى بتجنبها، فقال: (كان لا يعاظل بين الكلام) لأن المعاظلة: المداخلة"[٦٦].

وانتقل قدامة إلى الحديث عن الكلام في عيوب الوزن، فقال:

"الخروج عن العروض، وقد تقدم من استقصى هذه الصناعة"[٦٧]

وذكر أيضا من عيوب الوزن من ما يعتبر من إضافاته:

١- التخليع، "وهو أن يكون قبيح الوزن، قد أفرط قائله في تزحيفه، وجعل ذلك بنية للشعر كله، حتى ميله إلى الانكسار، وأخرجه عن باب الشعر الذي يعرف السامع له

---

[٦٠] - رواه البخاري، انظر: مشكاة المصابيح، للتبريزي، بتحقيق الألباني، (١٣٧٢/٣).
[٦١] - الإيضاح في علوم البلاغة، شرحه د. محمد عبد المنعم خفاجي، (٧٨/١).
[٦٢] - نقد الشعر، ص (١٧٢).
[٦٣] - نقد الشعر، ص (١٧٦).
[٦٤] - ذات هدم: امرأة ضعيفة، الهدم: الكساء الخلق، النواشر: عرق وعصب باطن الذراع، تصمت: تسكت. الجدع: السيئ الغداء. ومعنى البيت: بكى ابنها، فلم تجد له لبنا، فأسكتته بالماء.
[٦٥] - نقد الشعر، ص (١٧٧).
[٦٦] - سر الفصاحة، ص (١٥٧)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.
[٦٧] - نقد الشعر، ص (١٨٠).

صحة وزنه في أول وهلة إلى ما ينكره، حتى يُنْعِم ذوقه، أو يعرضه على العروض فيصح فيه"[٦٨].

٢- الزحاف: "وهو أن ينقص الجزء عن سائر الأجزاء، فمنه ما نقصانه أخفى، ومنه ما هو أشنع، وهو في ذلك جائز في العروض"[٦٩]

وانتقل قدامة إلى الحديث عن الكلام في عيوب القوافي، فقال: "ولنتعد ما قد أتى به من استقصى ذلك فيما وضعه من الكتب... ولنذكر مما وضع فيها ما كانت القدماء تعيب به دون غيره، فمن ذلك التجميع"[٧٠]، وذكر من العيوب ما يلي:

١- التجميع: "وهو أن تكون قافية المصراع الأول من البيت الأول على روي متهيئ لأن تكون قافية آخر البيت بحسبه، فتأتي القافية بخلافه، مثل ما قال عمرو بن شأس:

تذكرتُ ليلى لات حينَ ادكَّارها وقد جُنِيَ الأصلابُ ضُلاً بتضلالِ[٧١]

٢- ومن عيوبها الإقواء: "وهو أن يختلف إعراب القوافي، فتكون قافية مرفوعة مثلا، وأخرى مخفوضة، أو منصوبة، وهذا في شعر الأعراب كثير جدا، وفي من دون الفحول من الشعراء أكثر، ولا يجوز لمولد، لأنهم قد عرفوا عيبه، والبدوي لا يأبه له، فهو أعذر"[٧٢].

٣- الإيطاء: "وهو أن تتفق القافيتان في قصيدة واحدة، فإن زادت على اثنتين فهو أسمج، فإن اتفق اللفظ، واختلف المعنى كان ذلك جائزا"[٧٣]

٤- السناد: "وهو أن يختلف تصريف القافية"[٧٤]

وقد تحدث ابن طباطبا (ت ٣٢٢ هـ).عن ضرورة حسن النظم، وتجنب العيوب فيه، فقال: "وينبغي للشاعر أن يتأمل تأليف شعره، وتنسيق أبياته، ويقف على حسن تجاورها أو قبحه، فيلائم بينها لتنتظم له معانيها، ويتصل كلامه فيها، ولا يجعل بين ما قد ابتدا وصفه وبين تمامه فضلا من حشو ليس من جنس ما هو فيه، فينسي السامعَ المعنى الذي يسوق القول إليه، كما أنه يحترز من ذلك في كل بيت، فلا يباعد كلمة عن أختها، ولا يحجز بينها وبين تمامها بحشو يشينها، ويتفقد كل مصراع هل يشاكل ما قبله؟ فربما اتفق للشاعر بيتان يضع مصراع كل واحد منهما في موضع الآخر، فلا يتنبه على ذلك إلا من دق نظره ولطف فهمه"[٧٥]

والعيوب لا محيص عنها للقدماء والمحدثين على حد سواء، فالمحمود من الأدباء من قلت عيوبه عن نظرائه، يقول القاضي عبد العزيز الجرجاني (ت ٣٩٢ هـ): "ودونك هذه الدواوين الجاهلية والإسلامية فانظر هل تجد فيها قصيدة تسلم من بيت أو أكثر لا يمكن لعائب القدح فيه، إما في لفظه ونظمه، أو ترتيبه وتقسيمه، أو معناه وإعرابه؟ ولولا أن أهل الجاهلية جُدُّوا بالتقدم، واعتقد الناس فيهم أنهم القدوة، والأعلام

---

[٦٨] - نقد الشعر، ص(١٨١).
[٦٩] - نقد الشعر، ص (١٨٣).
[٧٠] - نقد الشعر، ص (١٨٤).
[٧١] - نقد الشعر، ص (١٨٥).
[٧٢] - نقد الشعر، ص (١٨٥).
[٧٣] - نقد الشعر، ص (١٨٧).
[٧٤] - نقد الشعر، ص (١٨٧).
[٧٥] - عيار الشعر، شرح عباس عبد الساتر، ص (١٢٩).

والحجة، لوجدت كثيرا من أشعارهم معيبة مسترذلة، ومردودة منفية، لكن هذا الظن الجميل، والاعتقاد الحسن، ستر عليهم، ونفى الظّنة عنهم، فذهبت الخواطر في الذب عنهم كل مذهب، وقامت في الاحتجاج لهم كل مقام"[٧٦].

ومن المعيب عند العلماء الحشو الذي لا طائل من ورائه، يقول ابن سنان الخفاجي في هذا الصدد:"فمثل هذا وأشباهه الحشو الذي يقع ولا تعرض في ذكره فائدة إلا ليصح الوزن، وهو عيب فاحش في هذه الصناعة، وما أكثر ما تستعمل أمسى وأصبح وأخواتها في هذا الموضع من الحشو، ويجب أن تعتبر ذلك بأن تنظر الفائدة فيه، فإن كان الأمر الذي ذكر أنه أصبح فيه لم يكن أمسى فيه فالفائدة حاصلة، وإن كان الأمر بخلاف ذلك فهو حشو لا يحتاج إليه، فاعتبار الفائدة فيه هو الأصل الذي يرجع إليه، ويعول على النظر من جهته"[٧٧].

وذكر ابن طباطبا (ت٣٢٢ هـ) أمثلة للقبيح المستكره من الألفاظ، فقال: "ومن الأبيات المستكرهة الألفاظ، القلقة القوافي، الرديئة النسج، فليست تسلم من عيب يلحقها في حشوها أو قوافيها، أو ألفاظها أو معانيها، قول أبي العيال الهذلي:

ذكرت أخي فعاودني صداع الرأس والوصب

فذكر الرأس مع الصداع فضل"[٧٨]

ويحدد البغدادي (ت ٥١٧ هـ) أهم عيوب الألفاظ وهو أن تكون مستكرهة أو كثيرة مكررة، فيقول: "‘.. لكنهم يخرجون عن طريق البلاغة، ومنهاج الكتابة من وجهين، أحدهما: أن تكون الألفاظ مستكرهة مستوخمة، غير مرصوفة ولا منتظمة. والثاني: أن تكون كثيرة يغني بعضها عنها بعضها، ويمكن أن يعبر عن المعنى الدال عليها بأقل منها"[٧٩]

ويعاب أيضا التجنيس والسجع الذي يتبع المعنى اللفظ فيه، يقول عبد القاهر: "وعلى الجملة فإنك لا تجد تجنيسا مقبولا، ولا سجعا حسنا، حتى يكون المعنى هو الذي طلبه، واستدعاه وساق نحوه، وحتى تجده لا تبتغي به بدلا، ولا تجد عنه حولا"[٨٠].

وقد كان السجع يأتي في كلام الأوائل عفوا، ولم يكونوا يتعمدونه، وكان الكتاب لا يحفلون به في البداية، يقول ابن سنان الخفاجي: " وقد سن الكتاب المتقدمون من تجنب السجع في أكثر كلامهم سنة لو اعتمدت لوجدت فيها الراحة من هذا العارض، لأنهم إذا كانوا لا يحفلون بالسجع، فالواجب اطراحه في الموضع الذي يكون متكلفا نافرا"[٨١]

ويبدو أن هنالك من يولع بالسجع ولو على حساب المعنى، كالبغدادي (ت ٥١٧ هـ) الذي قال: "ورأيت قوما يذهبون إلى كراهة السجع والازدواج في الكلام، من غير أن عرفت لهم من ذلك حجة، فعلمت أنهم ذموا ما راموه، فلم يصلوا إليه، وتعاطوه فلم

---

[٧٦] - الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البيجاوي ص (٤)، طبعة عيسى البابي الحلبي.

[٧٧] - سر الفصاحة، ص (١٥٢).

[٧٨] - عيار الشعر، شرح عباس عبد الساتر، ص (١٠٥)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

[٧٩] - قانون البلاغة في نقد النثر والشعر، تحقيق د. محسن فياض عجيل، ص (٢٣)، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

[٨٠] - أسرار البلاغة، للجرجاني، تحقيق هـ. ريتر، ص (١٠) دار المسيرة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

[٨١] - سر الفصاحة، ص (١٥٦).

يقدروا عليه، وإلا فهذا القرآن وكلام الرسول وهما مسجوعان، فأما الذي في القرآن فأكثر من أن يحاط، إذ كان مبناه عليه"[٨٢].

وقد خالف البغدادي المشهور حين سمى الفواصل القرآنية سجعا، "وإنما الفواصل في القرآن كالقوافي في الشعر"[٨٣]، وهنالك فرق بين الفواصل والسجع كما بين ابن سنان الخفاجي: "وأما الفواصل التي في القرآن فإنهم سموها فواصل ولم يسموها أسجاعا، وفرقوا فقالوا: إن السجع هو الذي يقصد في نفسه ثم يحمل المعنى عليه، والفواصل التي تتبع المعاني ولا تكون مقصودة في نفسها"[٨٤].

ومن العيوب التي يقع بها الناس التحريف في الألفاظ، وقد عقد ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) بابا بعنوان: باب الحرفين اللذين يتقاربان في اللفظ والمعنى ويلتبسان فربما وضع الناس أحدهما موضع الآخر، قالوا: عُظْم الشيء: أكثره، وعَظْمه نفسه"[٨٥].

---

[٨٢] - قانون البلاغة في نقد النثر والشعر، تحقيق د. محسن فياض عجيل، ص (٣٠).

[٨٣] - دلائل الإعجاز، للجرجاني، تحقيق محود شاكر، ص (٣٨٧) مكتبة الخانجي، القاهرة.

[٨٤] - سر الفصاحة، ص (١٧٢).

[٨٥] - أدب الكاتب، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ص (٢٣٨).

المبحث الثالث:

عيوب المعـــاني والأساليب

الاحتراز من عيوب المعاني من مقتضيات البلاغة، "والمعاني على ضربين: ضرب يبتدعه صاحب الصناعة من غير أن يكون له إمام يقتدي به فيه، أو رسوم قائمة في أمثلة مماثلة يعمل عليها ... وينبغي أن يطلب الإصابة في جميع ذلك، ويتوخى فيه الصورة المقبولة والعبارة المستحسنة، ولا يتكل فيما ابتكره على فضيلة ابتكاره، ولا يغره ابتداعه له، فيساهل نفسه في تهجين صورته، فيذهب حسنه ويطمس نوره، ويكون أقرب إلى الذم منه إلى المدح"[٨٦].

كما ذكر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) ضرورة التنويع في القصيدة، وألا تكون على وتيرة واحدة في كونها أمثالا فقط، يقول: "القصيدة إذا كانت كلها أمثالا لم تسر، ولم تجر مجرى النوادر، ومتى لم يخرج الشاعر من شيء إلى شيء لم يكن لذلك عنده موقع"[٨٧]

ومن العيوب التي يقع بها الخطباء ترك الاقتباس من القرآن في الخطب، أو عدم بدايتها بالتحميد، يقول الجاحظ: "وعلى أن خطباء السلف الطيب، وأهل البيان من التابعين لهم بإحسان، مازالوا يسمون الخطبة التي لم تبتدئ بالتحميد، وتستفتح بالتمجيد، البتراء، ويسمون التي لم توشح بالقرآن، وتزين بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم: الشوهاء"[٨٨]

ويرى ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) أن من العيوب التي يقع بها الكتاب عدم مراعاة مقتض الحال، يقول: "ونستحب له أيضا ـ أي للكاتب ـ أن ينزل ألفاظه في كتبه، فيجعلها على قدر الكاتب والمكتوب إليه، وأن لا يعطي خسيسَ الناس رفيع الكلام، ولا رفيع الناس وضيع الكلام، فإني رأيت الكتاب قد تركوا تفقد هذا من أنفسهم، وخلطوا فيه، فليس يفرقون بين من يكتب إليه: (فرأيك في كذا). وبين من يكتب إليه: (فإن رأيت كذا). و (رأيك) إنما يكتب بها إلى الأكفاء والمساوين، ولا يجوز أن يكتب بها إلى الرؤساء والأستاذين، لأن فيها معنى الأمر ولذلك نصبت"[٨٩]

وحذر ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) من الأخطاء التي تقع في معاني الألفاظ، فتحدث عنها في كتاب المعرفة:باب ما يضعه الناس في غير موضعه، وهو أول باب في كتابه أدب الكاتب، وضرب لذلك أمثلة، "من ذلك: أشفار العين، يذهب الناس إلى أنها الشعر النابت على حروف العين، وذلك غلط، إنما الأشفار حروف العين التي ينبت عليها الشعر ... ومن ذلك الطرب، يذهب الناس إلى أنه الفرح دون الجزع، وليس كذلك، إنما الطرب خفة تصيب الرجل لشدة السرور أو لشدة الجزع"[٩٠]

ويعد قدامة بن جعفر من أبرز من تكلموا في عيوب المعاني، وقد أفرد لذلك حديثا طويلا مسنودا بالتعريفات والأمثلة لكل ما يذكره، فقال تحت عنوان: (عيوب المعاني) : "قد كنا قدمنا في باب النعوت أن جملتها أن يكون المعنى مواجها للغرض،

---

[٨٦] ـ كتاب الصناعتين، للعسكري، تحقيق د. مفيد قميحة، ص (٨٥).

[٨٧] ـ البيان والتبيين، للجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، (٢٠٧/١).

[٨٨] ـ انظر: البيان والتبيين، (٦/٢).

[٨٩] ـ أدب الكاتب، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ص (١٤-١٥). دار المطبوعات العربية، بيروت.

[٩٠] ـ أدب الكاتب،لابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ)، ص (١٧-١٨).

غير عادل عنه إلى جهة أخرى، وبينا من الأغراض التي تنتحيها الشعراء في ذلك الموضع ما إذا حفظ عرف العيب بالعدول عنه"[٩١].

وهو يعني بالمعاني الأغراض الشعرية، وذهب يذكر عيوب تلك المعاني بعد ذلك، وفي مقدمتها نعت المديح، فقال: " لما كنا قدمنا من حال المديح الجاري على الصواب ما أنبأنا أنه الذي يقصد فيه المدح للشيء بفضائله الخاصية، لا بما هو عرض فيه، وجعلنا مديح الرجال مثالا في ذلك، وذكرنا أن من قصد لمدحهم بالفضائل النفسية الخاصة كان مصيبا، وجب أن يكون ما يأتي به الممدوح من المدح على خلاف الجهة التي ذكرناها في النعوت معيبا"[٩٢].

وذكر عيوب الهجاء بعد ذلك، فقال: "وجماع القول فيه أنه متى سلب المهجو أمورا لا تجانس الفضائل النفسية كان ذلك عيبا في الهجاء، مثل أن يُنسب إلى أنه قبيح الوجه، أو صغير الحجم، أو ضئيل الجسم"[٩٣].

ثم انتقل إلى ذكر عيوب المراثي، فقال: "ففي ما قدمته في باب نعوتها آنفا ما أبان عن الوجه في باب عيوبها، إذا كان النظر صحيح، والفكر سليما[٩٤]، وكان قد ذكر في نعت المراثي: إنه ليس بين المرثية والمِدحة فصل إلا أن يذكر في اللفظ على أنه لهالك، مثل كان وتولى وقضى نحبه، وأشبه ذلك، وهذا ليس يزيد في المعنى ولا ينقص منه، لأن تأبين الميت إنما هو بمثل ما كان يمدح به في حياته"[٩٥].

وانتقل قدامة بعد ذلك للحديث عن العيوب عيب التشبيه، وهو هنا يخلط بين أغراض الشعر وأساليبه، فكلها عنده من المعاني، وذكر بعد ذلك عيب الوصف، وعيب الغزل، وقال: "وهذه كلها بالمضادة من النعوت التي ذكرها[٩٦].

وتحدث قدامة بعد ذلك على ما أسماه العيوب العامة للمعاني، فقال في مقدمة حديثه: "وأما العيوب العامة للمعاني من الأغراض التي ذكرناها وغيرها، وعموم ذلك إياها، كعموم النعوت التي قدمناها وعددنا في أبوابها، فمنها:
فساد القسم: وذلك يكون إما بأن يكررها الشاعر، أو يأتي بقسمين أحدهما داخل تحت الآخر في الوقت الحاضر، أو يجوز أن يدخل أحدهما تحت الآخر في المستأنف، أو يدع بعضها فلا يأتي به.
فأما التكرير، فمثل قول هُذيلٍ الأشجعي:

فما برحتْ تومي إليه بطرفها وتومض أحيانا إذا خصمها غفلْ

لأن (تومض) و (تومي) بطرفها متساويان في المعنى.
وأما دخول أحد القسمين تحت الآخر، فمثل قول أحدهم:

أبادرُ إهلاكَ مستهلِكِ لماليَ أو عبث العابثِ

فعبث العابث داخل في إهلاك مستهلك"[٩٧]

---

[٩١] - نقد الشعر، ص (١٨٨).
[٩٢] - نقد الشعر، ص (١٨٩).
[٩٣] - نقد الشعر، ص (١٩٢).
[٩٤] - نقد الشعر، ص (١٩٦).
[٩٥] - نقد الشعر، ص (١٠٠).
[٩٦] - نقد الشعر، ص (١٩٧).
[٩٧] - نقد الشعر، ص (١٩٩).

وذكر قدامة بعد ذلك فساد المقابلات: "وهو أن يضع الشاعر معنى يريد أن يقابله بآخر، إما على جهة الموافقة أو المخالفة، فيكون أحد المعنيين لا يخالف الآخر ولا يوافقه، مثال ذلك قول أبي عَديّ القرشي:

يا ابن خير الأخيار من عبد شمس أنت زينُ الدنيا وغيث الجنودِ

فليس قوله: (وغيث الجنود) موافقا لقوله زين الدنيا، ولا مضادا، وذلك عيب"[٩٨].

وتحدث عن فساد التفسير[٩٩]، ويفسد عنده بالاستحالة والتناقض: "وهما أن يذكر في الشعر شيء، فيجمع بينه وبين المقابل له من جهة واحدة"[١٠٠].

وذكر بعد ذلك إيقاع الممتنع، فقال: "ومن عيوب المعاني إيقاع الممتنع فيها حال ما يجوز وقوعه ويمكن كونه. والفرق بين الممتنع والمتناقض الذي تقدم الكلام فيه، أن المتناقض لا يكون، ولا يمكن تصوره في الوهم، والممتنع لا يكون، ويجوز أن يتصور في الوهم"[١٠١]

وذكر بعد ذلك من عيوب المعاني: " مخالفة العرف والإتيان بما ليس في العادة والطبع"[١٠٢]

وأعقبه أيضا بقوله: "ومن عيوب المعاني نسب الشيء إلى ما ليس فيه"[١٠٣].

تحدث قدامة بعد ذلك عن ما أسماه: عيوب ائتلاف اللفظ مع المعنى، فذكر من تلك العيوب:

١- الإخلال: "وهو أن يترك من اللفظ ما يتم به المعنى[١٠٤]

٢- الحشو: "وهو أن يحشى البيت بلفظ لا يحتاج إليه لإقامة الوزن"[١٠٥]

٣- التثليم: "وهو أن يأتي الشاعر بأسماء يقصر عنها العروض، فيضطر إلى ثلمها والنقص منها"[١٠٦]

٤- التذنيب: "وهو عكس العيب المتقدم، وذلك أن يأتي الشاعر بألفاظ تقصر عن العروض، فيضطر إلى الزيادة فيها"[١٠٧]

٥- التغيير: "وهو أن يحيل الشاعر الاسم عن حاله وصورته إلى صور أخرى، إذا اضطرته العروض إلى ذلك"[١٠٨]

٦- التفصيل: "وهو ألا ينتظم للشاعر نسق الكلام على ما ينبغي لمكان العروض، فيقدم ويؤخر"[١٠٩]

---

[٩٨] - نقد الشعر، ص (٢٠٢).
[٩٩] - نقد الشعر، ص (٢٠٣).
[١٠٠] - نقد الشعر، ص (٢٠٤).
[١٠١] - نقد الشعر، ص (٢١٣).
[١٠٢] - نقد الشعر، ص (٢١٥).
[١٠٣] - نقد الشعر، ص (٢١٥).
[١٠٤] - نقد الشعر، ص (٢١٦).
[١٠٥] - نقد الشعر، ص (٢١٨).
[١٠٦] - نقد الشعر، ص (٢١٩).
[١٠٧] - نقد الشعر، ص (٢٢٠).
[١٠٨] - نقد الشعر، ص (٢٢٠).

ثم انتقل بعد ذلك إلى الحديث عن عيوب ائتلاف المعنى والوزن، فذكر من تلك العيوب:

١- المقلوب: "وهو أن يضطر الوزن الشعري إلى إحالة المعنى، فيقلبه الشاعر إلى خلاف ما قصد به".[١١٠]

٢- المبتور: "وهو أن يطول المعنى عن أن يحتمل العروض تمامه في بيت واحد، فيقطعه بالقافية، ويتمه في البيت الثاني"[١١١].

وانتقل بعد ذلك إلى الحديث عن عيوب ائتلاف المعنى والقافية، وذكر منها عيبين:

١- التكلف في طلب القافية: وهو : "أن تكون القافية مستدعاة قد تكلف في طلبها، فاشتغل معنى سائر البيت بها".[١١٢]

٢- الإتيان بالقافية لتكون نظير أخواتها في السجع: يقول: "ومن عيوب هذا الجنس أن يؤتى بالقافية لتكون نظيرة لأخواتها في السجع، لا لأن لها فائدة في معنى البيت".[١١٣]

وذكر أبو هلال من عيوب المعاني عدم التحرز في مطلع القصائد مما يتطير منه، وقال: "وينبغي للشاعر أن يحترز في أشعاره، ومفتتح أقواله مما يتطير منه"[١١٤]، وذكر له أمثلة منها قوله: "وقد أنكر الفضل بن يحيى البرمكي على أبي نواس ابتدائه:

أربع البلى إن الخشوع لبادي عليك وإني لم أخنك ودادي

قال فلما انتهى إلى قوله:

سلام على الدنيا إذا ما فقدتمُ بني برمك من رائحين وغاد

وسمعه استحكم تطيره، وقيل إنه لم يمض أسبوع حتى نكبوا"[١١٥]

وتحدث العسكري (ت ٣٩٥ هـ) عن قبح التشبيه إذا لم يؤد إلى تجلية المعنى المراد، فقال: "والتشبيه يقبح إذا كان على خلاف ما وصفناه في أول الباب من إخراج الظاهر فيه إلى الخافي، والمكشوف إلى المستور، والكبير إلى الصغير"[١١٦]

كما تحدث أيضا عن قبح الأخذ إذا لم يكن هنالك ثمة تطوير أو تحسين لما أخذه الأديب من غيره، فقال: "وقبح الأخذ أن تعمد إلى المعنى فتتناوله بلفظه كله أو أكثره، أو تخرجه في معرض مستهجن، والمعنى إنما يحسن بالكسوة"[١١٧]

وأشار أبو هلال إلى أهمية الإيجاز والإطناب، وأن لكل واحد منهما موضعه، ولا يستغنى بأحدهما عن الآخر، ومن لم يعرف موقع كل منهما أدركه الخطأ، يقول:"والقول القصد أن الإيجاز والإطناب يحتاج إليهما في جميع الكلام، وكل نوع منه، ولكل واحد منهما موضع، فالحاجة إلى الإيجاز في موضعه كالحاجة إلى الإطناب في مكانه، فمن

---

[١٠٩] - نقد الشعر، ص (٢٢١).
[١١٠] - نقد الشعر، ص (٢٢٢).
[١١١] - نقد الشعر، ص (٢٢٢).
[١١٢] - نقد الشعر، ص (٢٢٣).
[١١٣] - نقد الشعر، ص (٢٢٧).
[١١٤] - كتاب الصناعتين، تحقيق د. مفيد قميحة، ص (٤٨٩).
[١١٥] - كتاب الصناعتين، ص (٤٩١).
[١١٦] كتاب الصناعتين، ص (٢٨٠).
[١١٧] - كتاب الصناعتين، ص (٢٤٩).

أزال التدبير في ذلك عن جهته، واستعمل الإيجاز في موضع الإطناب، والإطناب في موضع الإيجاز أخطأ"[١١٨].

ويفرق أبو هلال بين الإطناب المفيد وبين التطويل الذي لا فائدة فيه، فيقول: "فالإطناب بلاغة، والتطفيل والتطويل عي، لأن التطويل بمنزلة سلوك ما يبعد جهلا بما يقرب، والإطناب بمنزلة سلوك طريق بعيد نزه يحتوي على زيادة فائدة"[١١٩].

ونقل أبو هلال عن الخليل مواقع كل من الإيجاز والإطناب، ورأى أن الإطناب وقت الضرورة داخل في الإيجاز! يقول: "وقال الخليل: يختصر الكتاب ليحفظ، ويبسط ليفهم. وقيل لأبي عمرو بن العلاء: هل كانت العرب تطيل؟ قال: نعم. كانت تطيل ليسمع منها، وتوجز ليحفظ عنها.

والإطناب إذا لم يكن منه بد إيجاز، وهو في الموعظة خاصة محمود، كما أن الإيجاز في الإفهام محمود ممدوح"[١٢٠]

وحذر أبو هلال من استكراه المعاني والألفاظ ومن استغلاقهما، فقال: "ولا خير في المعاني إذا استكرهت قسرا، والألفاظ إذا اجترت قسرا، ولا خير فيما أجيد لفظه إذا سخف معناه، ولا في غرابة المعنى إلا إذا شرف لفظه مع وضوح المغزى، وظهور المقصد، وقد غلب الجهل على قوم فصاروا يستجيدون الكلام إذا لم يقفوا على معناه إلا بكد، ويستفصحونه إذا وجدوا فيه ألفاظا كزة غليظة، وجاسية غريبة، ويستحقرون الكلام إذا رأوه سلسا عذبا، وسهلا حلوا، ولم يعلموا أن السهل أمنع جانبا، وأعز مطلبا، وهو أحسن موقعا، وأعذب سمعا، ولهذا قيل: أجود الكلام السهل الممتنع"[١٢١].

ويرى ابن طباطبا ضرورة البعد عن الاستغلاق وكل ما من شأنه أن يبعد المعنى عن ذهن المتلقي، فيقول: "وينبغي على الشاعر أن يجتنب الإشارات البعيدة، والحكايات المغلقة، والإيماء المشكل، ويتعمد ما خالف ذلك، ويستعمل من المجاز ما يقارب الحقيقة، ولا يبعد عنها، ومن الاستعارات ما يليق بالمعاني التي يأتي بها، فمن الحكايات الغلقة، والإشارات البعيدة قول المثقب في وصف ناقته:

تقول وقد درأتُ لها وضيني أهذا دينه أبدا وديـــني
أكل الدهر حل وارتحـــال أما يُبقي عليَّ ولا يقيني

فهذه الحكاية كلها عن ناقته من المجاز المباعد للحقيقة، وإنما أراد الشاعر أن الناقة لو تكلمت لأعربت عن شكواها بمثل هذا القول، والذي يقارب الحقيقة قول عنترة في وصف فرسه:

فازورَّ عن وقع القنا بلبانه وشكا إليَّ بعبرة وتحمحم"[١٢٢]

وينبه ابن سنان الخفاجي إلى أن لكل غرض أدبي ألفاظه الخاصة به، ولا بد من ضرورة مطابقة الألفاظ للأغراض، فيقول: "ومن وضع الألفاظ موضعها ألا يعبر عن المدح بالألفاظ المستعملة في الذم، ولا في الذم بالألفاظ المعروفة للمدح، بل يستعمل في جميع الأغراض الألفاظ اللائقة بذلك الغرض"[١٢٣].

---

[١١٨] - كتاب الصناعتين، ص (٢٠٩).
[١١٩] - كتاب الصناعتين، ص (٢١١-٢١٢).
[١٢٠] - كتاب الصناعتين، ص (٢١٢).
[١٢١] - كتاب الصناعتين، ص (٧٥).
[١٢٢] - عيار الشعر، ابن طباطبا، شرح عباس عبد الساتر، ص (١٢٣).
[١٢٣] - سر الفصاحة، ص (١٦١).

كما يشير أيضا إلى ضرورة اجتناب التصريح في الموضع الذي لا ينبغي ذكره فيه، فيقول:
"ومن هذا الجنس حسن الكناية عما يجب أن يكنى عنه في الموضع الذي لا يحسن فيه التصريح، وذلك أصل من أصول الفصاحة، وشرط من شروط البلاغة"[١٢٤]
وذكر البغدادي (ت ٥١٧ هـ) من عيوب المعاني وهو هنا يتابع قدامة بن جعفر في بعض ما يقوله:
١- المستحيل: وهو الشيء الذي لا يوجد، ولا يمكن مع ذلك أن يتصور في الفكر، مثل الصاعد والنازل في وقت واحد. وهذا كان قدامة قد ذكره من قبله.
٢- وأما الامتناع: فهو الذي وإن كان لا يوجد، فيمكن أن يتخيل، ومنزلته دون منزلة المستحيل في الشناعة، مثل أن تركب أعضاء حيوان ما، على جثة حيوان آخر، فإن ذلك جائز في التوهم، ولكنه معدوم في الوجود. وهذا كان قدامة قد ذكره من قبله.
٣- التناقض: أن تجمع بين المقابلة من جهة واحدة، مثل أن يجعل رجل ما أبا لزيد وابنا له، وعدد ما ضعفا لخمسة ونصفا لها.. فهذا كله فاسد لا يجوز، لأن التقابل جعل فيه من جهة واحدة، فيصير حينئذ تناقضا، وهو من أفحش عيوب المعاني المعبر عنها بالكلام المنثور والكلام المنظوم أيضا.[١٢٥]
٤- وذكر من عيوب المعاني أيضا: فساد التقسيم، وهو هنا يتابع قدامة بن جعفر، ويكون فساد التقسيم عنده على ثلاثة صور:
الأولى: التكرير، مثل ما كتب بعضهم إلى عامل: (ففكرت مرة في عزلك، وأخرى في صرفك، وتقليد غيرك).
الثانية: تداخل الأقسام، ومثل له بقول بعض النوكى: "أخبروني عن علقمة بن عبدة: جاهلي هو أم من بني تميم؟"،
والثالثة: الإخلال ببعض الأقسام.
٥- وفساد المقابلات، وذلك أن يذكر معنى، يقتضي الحال ذكر ما يوافقه ويعانده، فيؤتى بما لا يوافق ولا يشاكل، أو بما لا يوافق ولا يعادل، فليس المقول فيه من الناس إنه خير على الإطلاق، معاندا للقول منهم: إنه مارق ولا موافق، وهذه كان قدامة قد ذكرها من قبله.
٦- وفساد التفسير[١٢٦].
وذكر من عيوب اشتراك اللفظ مع المعنى:
١- الإخلال: وهو أن يخل اللفظ بما فيه استيفاء المعنى وتمام القصد به.
٢- والانتقال: أن تقدم ألفاظا تقتضي جوابا يقتضي بعدها بإعادة ما تقدم منها، فلا يؤتى بالألفاظ بعينها، بل ينقل المعنى الذي تدل عليه إلى ألفاظ أخر غيرها.
٣- والهذر والتبعيد: عند الحاجة إلى الإيجاز والتقريب. وهذا هو سبب زيادة الألفاظ على المعاني من غير سبب يدعو إليها[١٢٧].

---

[١٢٤] - سر الفصاحة، ص (١٦٣).
[١٢٥] - قانون البلاغة في نقد النثر والشعر، للبغدادي، تحقيق د. محسن فياض عجيل، ص(٤١).
[١٢٦] - قانون البلاغة في نقد النثر والشعر، ص (٤١-٤٤).
[١٢٧] - قانون البلاغة في نقد النثر والشعر، ص(٥٠-٥٣).

ومن المعيب عند البلاغيين والنقاد أيضا الإسراف في البديع، حتى تفسد كثرته رشاقة الأسلوب وتجعله كزا ثقيلا، يقول عبد القاهر: "وقد تجد في كلام المتأخرين الآن كلاما حمل صاحبَه فرطُ شغفه بأمور ترجع إلى ما له اسم في البديع إلى أن ينسى أنه يتكلم ليُفهِم، ويقول ليبينَ، ويخيل إليه أنه إذا جمع بين أقسام البديع في بيت فلا ضير أن يقع ما عناه في عمياء، وأن يوقع السامع من طلبه في خبط عشواء، وربما طمس بكثرة ما يتكلفه على المعنى وأفسده، كمن ثقل على العروس بأصناف الحلي، حتى ينالها من ذلك مكروهٌ في نفسها"[١٢٨].

[١٢٨] - أسرار البلاغة، تحقيق هـ. ريتر، ص (٩).

المبحث الرابع:

عيــوب المتكلمين

إذا عدنا إلى تعريف فصاحة المتكلم عند البلاغيين وجدناها: "ملكة يقتدر بها على التعبير عن المعنى المقصود، بلفظ فصيح"[١٢٩]. وأما البلاغة فهي: "ملكة يقتدر بها على تأليف كلام بليغ"[١٣٠]، فالأساس في الفصاحة والبلاغة هو الاستعداد الفطري عند الإنسان وهو ما عبروا عنه بلفظ ملكة، بمعنى موهبة أو قدرة فطرية تجعله يقدر على التأليف الجميل في أي موضوع يريده، بيد أن هنالك أمور تعتري المتكلم تحول بينه وبين الفصاحة والبلاغة، من ذلك:

١- العيُّ، وهو في اللغة الحصر[١٣١]، وهو أمر مذموم في البيان، يقول الجاحظ: "ومما ذموا به العي قوله:

وما بي من عِيٍّ ولا أنطق الخنا إذا جمع الأقوام في الحي محفل"[١٣٢]

والعي مذموم، وقبحه عند الجاحظ أكثر من سلاطة اللسان، يقول: "وضرب الله مثلا لعيِّ اللسان ورداءة البيان، حين شبه أهله بالنساء والولدان، فقال تعالى: (أومن ينشأ في الحِلية وهو في الخصام غير مبين)[١٣٣] ... وليس حفظك الله مضرة سلاطة اللسان عند المنازعة، وسقطات الخطل، يوم إطالةِ الخُطبة،بأعظم مما يحدث عن العيِّ من اختلال الحجة، وعن الحَصر من فوت درك الحاجة"[١٣٤].

٢- اللثغة، وهي تحول اللسان من السين إلى الثاء، أو من الراء إلى الغين، أو اللام، أو الياء، أو من حرف إلى حرف[١٣٥]، وقد ذكر الجاحظ الحروف التي تدخلها اللثغة: "وهي أربعة أحرف، القاف والسين واللام والراء، فأما التي هي على الشين المعجمة فذلك شيء لا يصوره الخط، لأنه ليس من الحروف المعروفة، وإنما هو مخرج من المخارج، والمخارج لا تحصى ولا يوقف عليها، وكذلك القول في حروف كثيرة من لغات العجم"[١٣٦].

وقد ضرب الجاحظ أمثلة متعددة للثغة، فقال: "فاللثغة التي تعرض للسين تكون ثاء، كقولهم لأبي يكسوم: أبي يكثوم، وكما يقولون: يثرة إذا أرادوا يسرة، وبثم الله إذا أرادوا بسم الله.

والثانية: اللثغة التي تعرض للقاف، فإن صاحبها يجعل القاف طاء، فإذا أراد أن يقول: قلت له، قال: طلت له. وإذا أراد أن يقول: قال لي، قال: طال لي.

---

[١٢٩] - التلخيص، للخطيب القزويني، شرحه عبد الرحمن البرقوقي، ص (٣٢).
[١٣٠] - التلخيص، ص (٣٦).
[١٣١] - انظر: القاموس المحيط، مادة (عيي).
[١٣٢] - البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، (٤/١).
[١٣٣] - سورة الزخرف، الآية (١٨).
[١٣٤] - البيان والتبيين، (١٢/١).
[١٣٥] - انظر: القاموس المحيط، مادة (لثغ)
[١٣٦] - البيان والتبيين، (٣٤/١).

وأما اللثغة التي تقع في اللام، فإن من أهلها من يجعل اللام ياء، فيقول بدل قوله: اعتلت: اعتييت. وبدل جمل: جَمَي، وآخرون يجعلون اللام كافا، كالذي عرض لعمر أخي هلال، فإنه كان إذا أراد أن يقول ما العلة في هذا؟ قال: مَكْعِكَّة في هذا؟
وأما اللثغة التي تقع في الراء، فإن عددها يضعف على عدد لثغة اللام، لأن الذي يعرض لها أربعة أحرف، فمنهم من إذا أراد أن يقول عمرو قال: عمي، فيجعل الراء ياء، ومنهم من إذا أراد أن يقول عمرو قال: عمغ، فيجعل الراء غينا، ومنهم من إذا أراد أن يقول عمرو قال: عمذ، فيجعل الراء ذالا، وإذا أنشد قول الشاعر:

واستبدت مرة واحدة إنما العاجز من لا يستبد

قال:

واستبدت مية واحدة إنما العاجز من لا يستبد

ومنهم من يجعل الراء ظاء معجمة، فإذا أراد أن يقول:

واستبدت مرة واحدة إنما العاجز من لا يستبد

يقول:

واستبدت مظة واحدة إنما العاجز من لا يستبد

ومنهم من يجعل الراء غينا معجمة، فإذا أراد أن ينشد هذا البيت قال:

واستبدت مغَّة واحدة إنما العاجز من لا يستبد

كما أن الذي لثغته بالياء إذا أراد أن يقول: (واستبدت مرة واحدة): يقول: (واستبدت مية واحدة"[١٣٧]

٣- التمتمة، وهي في اللغة رد الكلام إلى التاء والميم، أو أن تسبق كلمته إلى حنكه الأعلى[١٣٨].
٤- الفأفأة: وهي ترديد وكثرتها في الكلام[١٣٩].
وقد "ونقل الجاحظ عن الأصمعي قوله: "إذا تعتع اللسان في التاء فهو تمتام، وإذا تعتع بالفاء فهو فأفاء، وأنشد لرؤبة بن العجاج:

يا حمْدُ ذاتَ المنطق التمتام كأن وسواسك في اللِّمام

حديث شيطان بني هِنِّام"[١٤٠]

٥- اللَّفَف، وهو العي وبطء الكلام، وقال أبو عبيدة: "إذا أدخل الرجل بعض كلامه في بعض فهو ألْف،وقيل: بلسنه لَفَف، وأنشدني لأبي زحف الراجز:

كأن فيه لففا إذا نطق من طول تحبيس وهم وأرق

كأنه لما جلس وحده ولم يكن له من يكلمه، طال عليه ذلك، أصابه لفف في لسانه.
وكان يزيد بن جابر قاضي الأزارقة بعد المُفَعْطِل، يقال له: الصموت، لأنه لما طال صمته ثقل عليه الكلام، فكان لسانه يلتوي ولا يكاد يبين"[١٤١].

---

[١٣٧] - البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، (٣٤/١-٣٥).
[١٣٨] - انظر: القاموس المحيط، مادة (تم).
[١٣٩] - انظر: القاموس المحيط، مادة (فأفأ).
[١٤٠] - البيان والتبيين، (٣٧/١).
[١٤١] - البيان والتبيين، (٣٨/١).

٦- الحبسة، وهي تعذر الكلام عند إرادته.[١٤٢]
٧- العقلة، وهي مأخوذة من اُعتقل لسانه: لم يقدر على الكلام.[١٤٣]
٨- الحنكلة، مأخوذة مالحُكْل، وهو ما لا يسمع صوته.[١٤٤]
وقد أشار إلى هذه العيوب جميعا الجاحظ بقوله: "ويقال في لسانه حُبسة، إذا كان الكلام يثقل عليه، ولم يبلغ حد الفأفاء والتمتام، ويقال في لسانه عُقلة، إذا تعقل عليه الكلام. ويقال في لسانه لكنة، إذا أدخل بعض حروف العجم في حروف العرب، وجذبت لسانَه العادة الأولى إلى المخرج الأول، فإذا قالوا في لسانه حُنكلة، فإنما يذهبون إلى نقصان آلة المنطق، وعجز أداة اللفظ، حتى لا تعرف معانيه إلا بالاستدلال"[١٤٥].
٩- النحنحة، وهي تردد الصوت الصوت في الجوف، وهو أسهل من السعال[١٤٦]
١٠ السُّعلة، وهي حركة تدفع بها الطبيعة أذى عن الرئة والأعضاء التي تتصل بها.[١٤٧]
وهما من عيوب المنطق، قال محمد بن ذؤيب: "وأنشدني سحيم بن حفص، في الخطيب الذي تعرض له النحنحة والسُّعلة، وذلك إذا انتفخ سحْرُه، وكبا زَنده، ونبا حدُّه، فقال:

نعوذ بالله من الإهمال ومن كلال الغرْب في المقال

ومن خطيب دائم السعال[١٤٨]

١١- اللجلجة، وهي التردد في الكلام[١٤٩]، "كان عمر بن الخطاب إذا رأى رجلا يتلجلج في كلامه قال: خالق هذا وخالق عمرو بن العاص واحد"[١٥٠]
١٢- الضجَم، وهو عوج في الفم والشدق والشفة والذقن والعنق.[١٥١]
١٣- الفقْم: وهو تقدم الثنايا العليا فلا تقع على السفلى.[١٥٢]
١٤- الأروق: وهو من أشرفت ثناياه العليا على السفلى[١٥٣]
١٥- الشغا، وهو اختلاف بنية الأسنان بالطول والقصر، والدخول والخروج.[١٥٤]
وقد مثل لهذه الأنواع الجاحظ، وقال: "والضَّجَم: اعوجاج في الفم، والفَقَم مثله، والرّوق:ركوب السِّن الشفة، وفي الخطباء من كان أشغى، ومن كان أشدق[١٥٥]، ومن كان أرْوق، ومن كان أضْجم، ومن كان أفقم، وفي كل ذلك قد روينا الشاهد والمثل"[١٥٦]

---

[١٤٢] - انظر: القاموس المحيط، مادة (حبس).
[١٤٣] - انظر: القاموس المحيط، مادة (عقل).
[١٤٤] - انظر: القاموس المحيط، مادة (حكل).
[١٤٥] - البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، (٣٩/١-٤٠).
[١٤٦] - انظر: القاموس المحيط، مادة (نح).
[١٤٧] - انظر: القاموس المحيط، مادة (سعل).
[١٤٨] - البيان والتبيين، (٤٠/١).
[١٤٩] - انظر: القاموس المحيط، مادة (لج).
[١٥٠] - البيان والتبيين،(٣٩/١).
[١٥١] - انظر: القاموس المحيط، مادة (ضجم).
[١٥٢] - انظر: القاموس المحيط، مادة (فقم).
[١٥٣] - انظر المعجم الوسيط، مادة (روق).
[١٥٤] - انظر: القاموس المحيط، مادة (شغا).
[١٥٥] - الأشدق: البليغ، انظر: القاموس المحيط، مادة (شدق).
[١٥٦] - البيان والتبيين، (٥٥/١).

١٦- الأهتم، وهو من انكسرت ثناياه من أصولها[١٥٧]. وعنه يقول الجاحظ: "وليس شيء من الحروف أدخلَ في باب النقص والعجز من فم الأهتم، من الفاء والسين إذا كانا في وسط الكلمة، فأما الضاد فليست تخرج إلا من الشدق الأيمن، إلا أن يكون المتكلم أعسر يسرا [أي يعمل بيديه جميعا] مثل عمر بن الخطاب رحمه الله، فإنه كان يخرج الضاد من أي شدقيه شاء، فأما الأيمن والأعسر والأضبط [الأعسر الأيسر] فليس يمكنهم ذلك إلا بالاستكراه الشديد.
وكذلك الأنفاس مقسومة على المنخرين، فحالا يكونا في الاسترواح ودفع البخار من الجوف من الشق الأيمن، وحالا يكونا من الشق الأيسر، ولا يجتمعان في ذلك على وقت إلا أن يستكره ذلك مستكره، أو يتكلفه متكلف، فأما إذا ترك أنفاسه على سجيتها لم تكن إلا كما قالوا"[١٥٨].

١٧- اللُكْنة، وهي: عدم إقامة العربية لعجمة في اللسان[١٥٩]، وقد ضرب لها الجاحظ أمثلة ثم قال: "هذا ما حضرنا من لُكنة البلغاء والخطباء والشعراء والرؤساء، فأما لكنة العامة ومن لم يكن له حظ في المنطق فمثل فيل مولى زياد، فإنه قال مرة لزياد: (أهدوا لنا همار وهش). يريد حمار وحش. فقال زياد: ما تقول ويلك! قال: (أهدوا لنا أيرا). يريد عيرا. فقال زياد الأول أهون، وفهم ما أراد"[١٦٠].
وكانوا يستدلون باللكنة على حقيقة الجواري، فهي أداة اختبار لدى النخاسين، والنخاس يمتحن لسان الجارية إذا ظن أنها رومية، وأهلها يزعمون أنها مولدة، بأن تقول: ناعمة، وتقول شمس، ثلاث مرات متواليات"[١٦١]

١٨ : اللنة، وهي مأخوذة من اللان وتعني لحن العامة[١٦٢].
١٩- الرُتَّة: وهي: "حُبسة في لسان الرجل وعجلة في كلامه".[١٦٣]
٢٠- الهثْهَثَةُ والهثْهَثة: "بالتاء والثاء أيضا: حكاية صوت العيي والألكن".[١٦٤]
٢١- اللَّيغُ: "أن لا يبين الكلام".[١٦٥]
٢٢- الخنخَنة: وهي "أن يتكلم من لدن أنفه، ويقال: هي ألا يبين الرجل في كلامه، فيخنخن في خياشيمه".[١٦٦]
٢٣- المَقْمقَة: وهي: "أن يتكلم من أقصى حلقه، عن الفراء"[١٦٧]

---

[١٥٧] - انظر: القاموس المحيط، مادة (هتم).
[١٥٨] - البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، (٦٢/١-٦٣).
[١٥٩] - انظر: القاموس المحيط، مادة (لكن).
[١٦٠] - البيان والتبيين، (٧٣/١).
[١٦١] - البيان والتبيين، (٧١/١).
[١٦٢] - انظر: القاموس المحيط، مادة (لون).
[١٦٣] - فقه اللغة وسر العربية، للثعالبي، (١٧٤/١).
[١٦٤] - فقه اللغة وسر العربية، (١٧٤/١).
[١٦٥] - فقه اللغة وسر العربية، (١٧٤/١).
[١٦٦] - فقه اللغة وسر العربية، (١٧٤/١).
[١٦٧] - فقه اللغة وسر العربية، (١٧٤/١).

وهناك بعض العيوب الخاصة بالأسنان ذكرها الثعالبي، منها: [١٦٨]

٢٤- النَّعَل: تراكبها وزيادة سن فيها.
٢٥- اللَّصَص: شدة تقاربها وانضمامها.
٢٦- اليَلَلُ: إقبالها على باطن الفم
٢٧- الدَّفَق: انصبابها إلى قدام.
٢٨- الدَرَد: ذهاب الأسنان
٢٩- اللَّطط: سقوط الأسنان.
٣٠- الكَسَس: صغر الأسنان.

كما تحدث الثعالبي عن عيوب الفم، فذكر من ذلك: [١٦٩]

٣١- الشّدق: سعة الشدقين
٣٢- الضَّزَز: وهو لصوق الحنك الأعلى بالأسفل.
٣٣- الهدَل: استرخاء الشفتين، وغلظهما.
٣٤- القَلب: انقلابهما.
٣٥- الجَلَعُ: قصورهما في الانضمام.
٣٦- البرطمة: ضخمهما.

وتحدث الثعالبي عن ترتيب أوجاع الحلق، فقال: "عن ابن الأعرابي: الحرَّة: حرارة في الحلق، فإذا زادت فهي الحَرْوة، ثم الثحْثَجة [صوت فيه بحة عند اللهاة]، ثم الجأز [الغصص في الصدر]، ثم الشَّرَق، ثم الفُواق [حركة في المعدة لدفع ما يؤذيه إما لبروده الشديد أو لحره في الحميات المحرقة]، ثم الجرضُ [الجريض: لبتلاع الريق بالجهد]، ثم العسْفُ وهو عند خروج الروح"[١٧٠]

وتحدث الثعالبي عن الأنوف وأصنافها المحمودة والمذمومة[١٧١]، وعن الأصوات وأنواعها في باب من ثلاثة وعشرين فصلا، تناول فيها عن مختلف أنواع الأصوات من أصوات خفية، وشديدة، وأصوات الحركات، والأصوات التي لا تفهم[١٧٢]. وتحدث عن الصمم، وأقسامه المختلفة، فقال: "يقال بأذنه وقر، فإذا زاد فهو صمم [انسداد في الأذن وثقل في السمع]، فإذا زاد فهو طرش، فإذا زاد حتى لا يسمع الرعد فهو صلَخ"[١٧٣]

وقد كانت العرب الأوائل حريصة على تجنب مثل هذه العيوب في لسانها، فربما طلق أحدهم زوجته خشية أن تنتقل بعض هذه العيوب إلى أولاده بالوراثة، "قال ابن الأعرابي: طلق أبو رمادة امرأته حين وجدها لثغاء، وخاف أن تجيئه بولد ألثغ"[١٧٤].

---

[١٦٨] - فقه اللغة وسر العربية، (١٦٩/١-١٧٠).
[١٦٩] - فقه اللغة وسر العربية، (١٧٠/١-١٧١).
[١٧٠] - فقه اللغة وسر العربية، (٢٠٦/١).
[١٧١] - فقه اللغة وسر العربية، (١٦٧/١).
[١٧٢] - فقه اللغة وسر العربية، (٣٤٠/١-٣٦٦).
[١٧٣] - فقه اللغة وسر العربية، (١٧٦/١).
[١٧٤] - البيان والتبيين، للجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، (٥٧/١).

وترى كبراءهم يصلحون ما تساقط من أسنانهم ابتغاء البيان، "قال أبو الحسن المدائني: ولما شد عبد الملك أسنانه بالذهب، قال: لولا المنابر والنساء، ما باليت متى سقطت"[١٧٥].

وربما امتنع بعضهم عن الخطبة بسبب تساقط أسنانه، "قالوا: ولم يتكلم معاوية على منبر جماعة منذ سقطت ثناياه في الطست"[١٧٦].

كما أن بعضهم امتنع عن نطق حروف بعينها بسبب لثغة في لسانه، فمثلا "كان واصل بن عطاء قبيحَ اللُّثغةِ شنيعَها... وكان إذا أراد أن يذكر البُرَّ قال: القمح، أو الحنطة، والحنطة لغة كوفية، والقمح لغة شامية، هذا وهو يعلم أن لغة من قال بُر، أفصح من لغة من قال قمح، أو حنطة"[١٧٧].

وكانت العرب تعرف أسباب تساقط الأسنان، فقد "كان سفيان بن الأبرد كثيرا ما يجمع بين الحار والقار، فتساقطت أسنانه جُمَعٌ، وكان في ذلك كله خطيبا بينا"[١٧٨]. ويرون أن سقوط بعضها أشنع في البيان من سقوطها جميعا، "قال محمد بن عمرو الرومي، مولى أمير المؤمنين: قد صحت التجربة، وقامت العبرة، على أن سقوط جميع الأسنان أصلح في الإبانة عن الحروف، منه إذا سقط أكثرها، وخالف أحد شطريها الشطر الآخر"[١٧٩].

وتحدث الثعالبي عن ترتيب العِيِّ، فقال: "رجل عيٌّ وعَيي، ثم حصر، ثم فَهٌ [العيي الكليل اللسان]، ثم مفحَم [الذي لا ينطق]، ثم لجْلاج، ثم أبكم".[١٨٠]

ومثل هذه العيوب ربما تكون طبيعية لدى الأطفال، وتقوَّم مع مرور العمر، بخلاف الشيوخ الذين لا أمل في تقويم أسنانهم في ذلك الزمان، والأمر نفسه لدى العرب الذين نشأوا مع العجم فانحرفت ألسنتهم، يقول الجاحظ: "والذي يعتري اللسان مما يمنع البيان أمور، منها اللثغة التي تعتري الصبيان إلى أن ينشئوا، وهو خلاف ما يعتري الشيخ الهرم الماج [الذي يمج ريقه ولا يحبسه] المسترخي الحنك، المرتفع اللثة، وخلاف ما يعتري أصحاب اللكَن من العجم، ومن ينشأ من العرب مع العجم"[١٨١]، ولفت الجاحظ الأنظار إلى ضرورة تدريب الألسن وشحذها بالكلام، فهو مما يسبب الفصاحة، يقول: "وإذا ترك الإنسان القول ماتت خواطره، وتبلدت نفسه، وفسد حسه، وكانوا يروّون صبيانهم الأرجاز، ويعلمونم المُناقلات، ويأمرونهم برفع الصوت، وتحقيق الإعراب، لأن ذلك يفتق اللهاة، ويفتح الجِرْم [الحلق]، واللسان إذا أكثرت تقليبه رق ولان، وإذا أقللت تقليبه وأطلت إسكاته جسأ [يبس] وغلظ، وقال عَباية الجُعْفي: (لولا الدربة وسوء العادة، لأمرت فتياننا أن يماريَ بعضهم بعضا). وأية جارحة منعتها الحركة، ولم تمرنها على الاعتمال، أصابها من التعقد على حسب ذلك المنع"[١٨٢].

ومن العيوب الأخرى غير العيوب الخلقية التي تم ذكرها آنفا:

---

[١٧٥] - البيان والتبيين، (٦٠/١).
[١٧٦] - البيان والتبيين، (٦٠/١).
[١٧٧] - البيان والتبيين، (١٧/١).
[١٧٨] - البيان والتبيين، (٦١/١).
[١٧٩] - البيان والتبيين، (٦٠/١).
[١٨٠] - فقه اللغة وسر العربية، للثعالبي، (١٧٦/١).
[١٨١] - البيان والتبيين، (٧١/١).
[١٨٢] - انظر: البيان والتبيين، (٢٧٢/١-٢٧٣).

اللحن، يقول الجاحظ: "ثم اعلم أن أقبح اللحن لحن أصحاب التقعير والتقعيب، والتشديق والتمطيط، والجهورة والتفخيم، وأقبح من ذلك لحن الأعراب النازلين على طرق السّابلة، وبقرب مجامع الأسواق. ولأهل المدينة ألسن ذلِقة، وألفاظ حسنة، وعبارة جيدة، واللحن في عوامهم فاحش، وعلى من لم ينظر في النحو منهم غالب"[١٨٣].

ومثل هؤلاء المتفاصحين قد يكونوا هم المعنيين بقوله عليه السلام: (هلك المتنطعون) قالها ثلاثا[١٨٤]. قال النووي: المتنطعون: المبالغون في الأمور[١٨٥]. وقال القاري: (أي المتكلفون في الفصاحة أو المصوتون من قعر حلوقهم، والمرددون لكلامهم في أفواههم رعونة من القول)[١٨٦]. فإن من محاسن هذا الدين حرصه على الاعتدال في أموره كلها، ونهيه عن التنطع والتشدد، سواء كان التشدد في المبالغة في الأمور، والتعسير على الناس، أو كان بالصراخ والانبعاق بالكلام كما يصنع بعض الخطباء مجانبين لهدي النبوة في أدب مخاطبة الآخرين وضرورة خفض الصوت أثناء الكلام، وأن تكون قوة الكلام نابعة من القلب لا من الصراخ واللسان.

وربما دب اللحن إلى ألسنة الفصحاء من الخلفاء والوزراء فمن دونهم بسبب أخطاء الرواة، كتب ابن رشيق (ت ٤٦٣ هـ) تحت عنوان باب في أغاليط الشعراء والرواة: "ولا بد أن يؤتى على الشاعر المفلق والعالم المتقن، لما بني عليه الإنسان من النقص والتقصير، وخير مما في ذلك أن يرجع المرء إلى الحق إذا سمعه، ولا يتمادى على الباطل لجاجة وأنفة من الخطأ، فإن تماديه زيادة في الخطأ الذي أنف منه"[١٨٧].

وذكر السيوطي في أنواع اللغة ما يلي: "النوع الخمسون: معرفة أغلاط العرب: عقد له ابن جني بابا في كتاب الخصائص قال فيه: كان أبو علي يرى وجه ذلك ويقول: إنما دخل هذا النحو كلامهم، لأنهم ليست لهم أصول يراجعونها، ولا قوانين يستعصمون بها، وإنما تهجم بهم طباعهم على ما ينطقون به، فربما استهواهم الشيء، فزاغوا به عن القصد"[١٨٨]

وقد يخطئ الرواة للحديث النبوي في روايتهم على الرغم من شدة احترازهم وتوقيهم للحن، فيقوم العلماء بتصحيح الخطأ، كما حصل مع المأمون الذي روى عن هشيم عن مجاهد عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيها سَداد من عَوَز). وكان في المجلس النضر بن الشميل، فقال: صدق يا أمير المؤمنين هشيم، حدثنا عوف بن أبي جميلة، عن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيها سِداد من عَوَز).قال: وكان متكئا، فاستوى جالسا، فقال: يا نضر! كيف قلت سِداد؟ قلت: يا أمير المؤمنين:السَّداد هاهنا لحن، قال: ويحك، أتلحنني؟ قلت: إنما لحن هشيم، وكان لحانة، فتبع أمير المؤمنين لفظه. قال: فما الفرق بينهما؟ قلت: السَّداد القصد في الدين والسبيل، والسِّداد: البلغة، وكل ما سددت به شيئا فهو سِداد. قال: وتعرف العرب هذا؟ قلت: نعم، العرجي يقول:

---

[١٨٣] - البيان والتبيين، (١٤٦/١).
[١٨٤] - رواه مسلم عن ابن مسعود، انظر: مشكاة المصابيح، (١٣٥٠/٣).
[١٨٥] - نفسه.
[١٨٦] - مرقاة المفاتيح، (١٢٢/٩).
[١٨٧] - العمدة في صناعة الشعر ونقده، تحقيق د. مفيد قميحة، ص (٤٢٨).
[١٨٨] - المزهر في علوم اللغة وآدابها، (٤٩٤/٢).

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كريهة وسِداد ثغر

قال: قبح الله من لا أدب له.."[١٨٩]

ومعلوم أن النبي عليه السلام دعا إلى الحذر في التبليغ عنه، ولأن يؤدي الإنسان ما سمعه من غير زيادة ولا نقصان، فعن ابن مسعود، قال: سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول: (نضر الله امرأ سمع منا شيئا فبلغه كما سمعه، فرب مبلغ له أوعى له من سامع) رواه الترمذي وابن ماجه[١٩٠].

وكان هنالك نفر من الخطباء مستهترين بالنحو، وهو أمر معيب حقا، فقد "كان محمد بن سليمان له خطبة لا يغيرها، وكان يقول: (إن الله وملائكتُهُ) فكان يرفع الملائكة، فقيل له في ذلك، فقال: خرجوا لها وجها، ولم يكن يدع الرفع"[١٩١].

ومن الخطباء من كان لا يسمع الناس صوته، وهذا من عيوب البليغ أيضا، قال أبو الحسن المدائني: (وصلى بنا خزيمة يوم النحر، فخطب، فلم يُسمع من كلامه إلا ذكر أمير المؤمنين الرشيد، وولي عهده محمد)[١٩٢].

وتعود بعض الخطباء التطويل، وهو أمر معيب ومثقل على الناس، أضف إلى أنه خلاف الحال في عهد النبي عليه السلام، روى "أبو الحسن المدائني قال: تكلم عمار بن ياسر يوما فأوجز، فقيل: لو زدتنا. فقال: (أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بإطالة الصلاة وقصر الخطب)"[١٩٣].

وقد عيب على بعض البلغاء استعمال بعض ألفظ المتكلمين في غير موضعها، وقد يحسن استعمالها في الشعر على وجه التظرف والتملح، وقد يتملح الأعرابي بأن يدخل في شعره شيئا من كلام الفارسية[١٩٤].

والصوت أداة الخطيب الأولى في بيانه، ولذلك يجب العناية به واستعمال الإشارة خلال الخطبة، يقول الجاحظ: "والصوت هو آلة اللفظ، والجوهرُ الذي يقوم به التقطيعُ، وبه يوجد التأليفُ، ولن تكون حركات اللسان لفظا ولا كلاما موزونا ولا منثورا إلا بظهور الصوت، ولا تكون الحروف كلاما إلا بالتقطيع والتأليف، وحسن الإشارة باليد والرأس من تمام حسن البيان باللسان"[١٩٥].

ومما يعاب على الخطيب ضعف الصوت والارتعاش أثناء الخطبة، يقول الجاحظ: "وأعيب عندهم من دقة الصوت وضيق مخرجه وضعف قوته، أن يعتريَ الخطيبَ البُهْرُ والارتعاش، والرِّعدة والعرق"[١٩٦].

وبالجملة فقد لخص أبو داود بن حَريز الحديث في ضرورة سلامة الخطابة من العيوب فقال: "تلخيص المعاني رفق، والاستعانة بالغريب عجز، والتشادق من غير أهل

---

[١٨٩] ـ ديوان المعاني، للعسكري، (١٠/١)، عالم الكتب.
[١٩٠] ـ مشكاة المصابيح، (٧٨/١).
[١٩١] ـ انظر: البيان والتبيين، للجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، (٢٩٥/١).
[١٩٢] ـ انظر: البيان والتبيين، (٢٩٥/١).
[١٩٣] ـ انظر: البيان والتبيين، (٣٠٣/١). وانظر: مشكاة المصابيح للتبريزي، بتحقيق الألباني، (٧٦٩/٢).
[١٩٤] ـ انظر: البيان والتبيين، (١٤٠/١-١٤١).
[١٩٥] ـ البيان والتبيين، (٧٩/١).
[١٩٦] ـ انظر: البيان والتبيين، (١٣٣/١).

البادية بغض، والنظر في عيونِ الناس عِيّ، ومس اللحية هُلْك، والخروج مما بني عليه أول الكلام إسهاب"[١٩٧]

[١٩٧] - البيان والتبيين، (٤٤/١).

خـــاتمة

تناولنا في هذا البحث الحديث عن موقف الكتاب والسنة من البيان كمدخل للبحث، وبينا أن البيان ممدوح فيهما، وأن الأنبياء أفصح بني جنسهم، ثم تحدثنا عن عيوب الكلام في تراث العرب من خلال مباحث أربعة، خصص الأول منها لعيوب الألفاظ، ووجدنا أن الأئمة يريدون اللفظ السهل الميسر الذي يبتعد عن الوحشي البدوي والهجين السوقي، ويكون سليما من اللحن، يعبر عن معناه، والثاني لعيوب التراكيب، ووجدنا أن الأئمة يريدون الكلام الفصيح الذي يبعد عن التنافر، والضعف والتعقيد، والثالث لعيوب المعاني والأساليب، وما يعتري المعاني العامة والأغراض الشعرية والأدبية من الأخطاء المختلفة، وهذه الأخطاء منها ما هو بسبب سوء فهم اللغة وعدم الإجادة في استخدامها، أو بسبب سوء استخدام البديع، ومنها ما يرجع إلى عدم مراعاة الموقف الذي يقتضي كلاما بعينه، أو بسبب مخالفتها للمعقول الثابت والوقائع الجارية. والرابع لعيوب المتكلمين، وذكرنا منها ما يرجع إلى ضعف بلاغة المتكلم، ومنها ما يرجع إلى عيب خَلقي ينبغي علاجه إذا أمكن ذلك، ومنها ما يرجع إلى البيئة بسبب مخالطة الأعاجم.

وقد قدم هذا البحث أمورا ثلاثة:

الأول: تنويرا عن جهود السلف بهذا الصدد، وهو كشف العيوب اللغوية بعامة، وقد كانت جهودهم ثمينة في هذا المجال.

والثاني: أهمية إيجاد النص السليم الذي يلائم المخاطبين وهو خطوة منهجية أولى لمعالجة عيوب اللغة والنطق بها، وبتعبيرنا اليوم: إيجاد المنهج الجيد الذي يلائم الطلبة.

والثالث: ضرورة معرفة عيوب المتكلم الخَلقية أو المكتسبة، وضرورة علاجها من أجل إيجاد الإنسان الفصيح المجيد للغة العربية.

ونود أن نقرر في نهاية هذا البحث الحقائق التالية:

أولا: إن القوانين البلاغية بين اللغات متشابهة إلى حد كبير، لذا يمكن أن ننتفع بما وصل إليه علم الأسلوب والنقد الأدبي عند الأمم الأخرى، وأن ينتفعوا بما عندنا، وفي هذا الصدد يقول أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥ هـ): "العجم والعرب في البلاغة سواء، فمن تلعم البلاغة بلغة من اللغات، ثم انتقل إلى لغة أخرى، أمكنه فيها من صنعة الكلام ما أمكنه في الأولى، وكان عبد الحميد الكاتب استخرج أمثلة الكتابة التي رسمها من اللسان الفارسي، فحولها إلى اللسان العربي، ويدلك على هذا أيضا أن تراجم خطب الفرس ورسائلهم، هي على نمط خطب العرب ورسائلها، وللفرس أمثال مثل أمثال العرب معنى وصنعة"[١٩٨]

ثانيا: إن نقد الكلام صعب، وهو في الشعر أكثر صعوبة منه في النثر، قال الباقلاني (ت ٤٠٣ هـ): "وجملة الأمر أن نقد الكلام شديد، وتمييزه صعب . ومما كتب إليَّ الحسن بن عبد الله العسكري (ت ٣٩٥ هـ)، قال: أخبرني أبو بكر بن دريد، قال: سمعت أبا حاتم

---

[١٩٨] - ديوان المعاني، للعسكري، (٨٩/٢)، عالم الكتب.

يقول: سمعت الأصمعي يقول: فرسان الشعر أقلُّ من فسان الحرب. وقال: سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول: العلماء بالشعر أعز من الكبريت الأحمر"[١٩٩].

ثالثا: إن الشعر الجيد هو الذي يخلد عبر الزمان، والرديء سرعان ما يسقط ولو راج لفترة من الزمن، قال المرزباني (ت٣٨٤ هـ): "أخبرني يوسف بن يحيى بن علي المنجم، عن أبيه، قال: أكثر هذه الأشعار الساذجة الباردة تسقط، وتبطل، إلا أن ترزق حمقى، فيحملون ثقلها، فتكون أعمارها بمدة أعمارهم، ثم ينتهي بها الأمر إلى الذهاب، وذلك أن الرواة ينبذونها وينفونها فتبطل. قال الشاعر:

يموت رديء الشعر من قبل أهله وجيده يبقى وإن مات قائله[٢٠٠]

رابعا: لقد تناولت دراساتنا الأدبية والنقدية القديمة العمل الأدبي من خلال مفرداته وتراكيبه وصور معانيه، بمعنى أنها اختارت تشريح العمل الأدبي من خلال جزئياته التي يتكون منها، وهو إنجاز عظيم في ذلك الزمان، بيد أنه فاتها النظر إليه كوحدة متكاملة والحكم على جزئيات العمل الأدبي من خلال النص وليس العكس.

خامسا: تحدث الأسلاف عن عيوب المتكلمين، ويمكن التمييز هنا بين ثلاثة أنواع من العيوب، وهي:

١- العيوب التي تكون بسبب تشوه عضوي في أدوات الصوت، وهذه يمكن علاج بعضها بتقويم الأسنان مثلا كما فعل الخليفة عبد الملك.
٢- والعيوب التي لا يمكن تقويمها، كما في لكنة العرب الذي عاشوا مع الأعاجم.
٣- والعيوب التي تعود إلى طريقة المتكلم من إسهاب أو لحن أو تقعر في الكلام، وهذه يمكن أن تقوم في حالة وجود استعداد نفسي لدى المتكلم لمعالجة تلك العيوب.

سادسا: إننا في علاجنا لعيوب النطق واللغة عند الأطفال بخاصة والكبار بعامة، يجب مراعاة التالي:

١- اختيار النصوص ذات المفردات السهلة التي يمكن نطقها دون صعوبة، ويمكن تأليف نصوص معدة لهذا الغرض خصيصا، وبالتالي نكون قد ساعدنا الطلاب بعامة، وذوي العاهات النطقية بخاصة على النطق من خلال لغة سهلة ميسرة لا تقعر فيها ولا وحشي.
٢- تعويدهم على كثرة القراءة الجهرية، وتكرار تلك القراءة، واختيار نصوص للحفظ، ومدارستها معهم، وذلك لأن الممارسة والمران الطويل هما أنجح وسيلتين لإصلاح عيوب النطق كما ذكر الجاحظ.
٣- يمكن الاستعانة بالعلاج الطبي في حالة وجود تشوه خلقي يستدعي ذلك، كما أنه ينبغي الاستفادة من الأخصائيين الاجتماعيين والنفسيين بهذا الصدد، فهم أصحاب خبرة قيمة بهذا الخصوص.
٤- الاستفادة من التقنيات الحديثة، وخبرات الأمم والشعوب الأخرى في عملية تقويم نطق الأطفال.

---

[١٩٩] - إعجاز القرآن، تحقيق السيد صقر، ص (٢٢٠).
[٢٠٠] - الموشح، تحقيق علي محمد البجاوي، ص(٤٤٩)، دار الفكر العربي، القاهرة.

٥- تشجيع الدراسات والبحوث العلمية التي تنمي مهارات الطفل اللغوية والأدبية، وتشجيع الأطفال على كتابة النصوص الإبداعية أيضا.
٦- الاهتمام بالخطابة في المناسبات الدينية والقومية والوطنية، وتشجيع الطلبة على أدائها في الفصل أو في ساحة المدرسة أمام بقية زملائهم.
٧- عدم الضحك أو الاستهزاء بمن ابتلي بعيب في نطقه، لأن ذلك يولد لديه إحباطا نفسيا، وردة فعل عكسية.
٨- التركيز على تمرين حاسة السمع، فالاستماع للنصوص بشكل جيد يساعد اللسان على محاكاة تلك النصوص بنفس الطريقة التي سمعها، فهناك علاقة وثيقة بين النطق والسمع، يقول الجاحظ: "وزعم المتكلمون أن الأخرس أصم، وأنه لم يؤت من العجز عن النطق لشيء في لسانه، ولكنه إنما أتي في ذلك لأنه حين لم يسمع صوتا قط، مؤلفا أو غير مؤلف، لم يعرف كيفيته فيقصد إليه، وأن جميع الصم ليس فيهم مصمت [أي : تام الصمم وخالصه]، وإنما يتفاوتون في الشدة واللين، فبعضهم يسمع الهدة والصاعقة، ونهيق الحمار إذا كان قريبا منه، والرعد الشديد، لا يسمع غير ذلك. ومنهم من يسمع السَّرار، وإذا رفعت له الصوت لم يسمع، ومتى كلمته، وقرت الشكاية في أذنه، فهم عنك كل الفهم، وإن تكلمت على ذلك المقدار في الهواء، ولم يكن ينفذ في قناة تحصره وتجمعه حتى تؤديه إلى دماغه لم يفهمه، فالأصم في الحقيقة إنما هو الأخرس، والأخرس إنما سمي بذلك على التشبيه والقرابة، ومتى ضرب الأصمُّ من الناس إنسانا أو شيئا غيره، ظنَّ أنه لم يبالغ حتى يسمع الضربة"[٢٠١].
٩- الاهتمام بالتدريب على تلاوة القرآن الكريم منذ الصغر، والاستفادة من علماء القراءات والتجويد، فلديهم خبرة واسعة في نطق الحروف والكلمات، وصبر أوسع على المتعلمين للقرآن الكريم، يقول ابن الجزري (ت ٨٣٣ هـ): "ولا شك أن هذه الأمة، كما هم متعبدون بفهم معاني القرآن وإقامة حدوده، متعبدون بتصحيح ألفاظه، وإقامة حروفه على الصفة المتلقاة من أئمة القراءة، المتصلة بالحضرة النبوية الأفصحية العربية التي لا تجوز مخالفتها، ولا العدول عنها إلى غيرها"[٢٠٢]

أخيرا: فإنني لا أدعي بهذا البحث الموجز بأنني أديت الأمر حقه، وإنما هو جهد المقل، فهنالك الكثير من الكتب والبحوث في هذا الصدد لم نتعرض لها، والتراث بحر خضم، والعلم لا منتهى له، وإنما هي معالم أحببنا ذكرها من تراث الآباء والأجداد، ومن عبق التاريخ الخالد، يوم كانت خير أمة أخرجت للناس لها الصدارة بين الأمم، وينطبق عليها وصف الأمير الفارس الشاعر أبي فراس الحمداني حين قال: [٢٠٣]

وإنا أنـاس لا توســط بيننا لنا الصـدر دون العالمــين أو القبر
تسيل على حد الظباء نفوسنا ومن يخطب الحسناء لم يغلها المهر

ولله الأمر من قبل ومن بعد.

---

[٢٠١] - كتاب الحيوان، (٤/٤٠٤-٤٠٥).
[٢٠٢] - النشر في القراءات العشر، (١/٢١٠).
[٢٠٣] - كتاب الحيوان، (٤/٤٠٤-٤٠٥).

المصادر والمراجع

١- أدب الكاتب، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ص (١٤-١٥). دار المطبوعات العربية، بيروت.
٢- أسرار البلاغة، للجرجاني، تحقيق هـ. ريتر، دار المسيرة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
٣- إعجاز القرآن، للباقلاني (ت ٤٠٣ هـ)، تحقيق السيد صقر، دار المعارف بمصر، الطبعة الثالثة.
٤- الإيضاح في علوم البلاغة، للخطيب القزويني (ت ٧٣٩ هـ) (٧٣٩ هـ)، شرحه د. محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب اللبناني، الطبعة الخامسة، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
٥- البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي بمصر، الطبعة الرابعة، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.
٦- التلخيص، للخطيب القزويني (ت ٧٣٩ هـ)، شرحه عبد الرحمن البرقوقي، دار الفكر العربي.
٧- دلائل الإعجاز، للجرجاني، تحقيق محود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة.
٨- ديوان المعاني، للعسكري، عالم الكتب.
٩- الروض الأنف، للسهيلي، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.
١٠- سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.
١١- العمدة في صناعة الشعر ونقده، ابن رشيق القيواني تحقيق د. مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
١٢- عيار الشعر، شرح عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
١٣- فقه اللغة وسر العربية، للثعالبي، تحقيق خالد فهمي، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م.
١٤- فيض القدير شرح الجامع الصغير، للمناوي، دار الفكر.
١٥- القاموس المحيط، للفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
١٦- قانون البلاغة في نقد النثر والشعر، للبغدادي (ت ٥١٧ هـ)، تحقيق د. محسن فياض عجيل، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
١٧- قصص الأنبياء، لابن كثير، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.
١٨- كتاب الحيوان، للجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، المجمع العلمي العربي الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٩م.
١٩- كتاب الصناعتين، تحقيق د. مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
٢٠- الكشاف، تحقيق مصطفى حسين أحمد، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٦هـ /١٩٨٦م.

٢١- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لابن الأثير، تحقيق د. أحمد الحوفي، ود. بدوي طبانة، دار نهضة مصر، القاهرة.
٢٢- مختارات البارودي، مشروع مكتبة الجامعة، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
٢٣- مرقاة المفاتيح، للقاري، المكتبة الإمدادية، باكستان.
٢٤- المزهر في علوم اللغة وآدابها، للسيوطي، تحقيق محمد أحمد جاد المولى بك، وعلي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
٢٥- مشكاة المصابيح، للتبريزي، بتحقيق الألباني، المكتب الإسلامي، دمشق، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
٢٦- المعجم الوسيط، الدكتور إبراهيم أنيس وآخرون، دار إحياء التراث الإسلامي، قطر.
٢٧- الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، للمرزباني تحقيق علي محمد البجاوي، دار الفكر العربي، القاهرة.
٢٨- النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، راجعه محمد علي الضباع، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة.
٢٩- نقد الشعر، قدامة بن جعفر، تحقيق كمال مصطفى، الطبعة الأولى، مكتبة الخانجي، القاهرة.
٣٠- الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البيجاوي طبعة عيسى البابي الحلبي.